السنة الثامنة عشرة العدد ٨ آب ١٩٢٠

المشرق

الارواح في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

مرّ من الليل هجيع طويل والأعراب جالسون على بساط الراحة والسلام يستضيئون بنور القمر ويتجاذبون اطراف الحديث . وكنّا بالقرب من الشيخ عبد الهدي وهو امير عرب العوازم القاطنين في ماعين وضواحيها . ومَن تعهّدهُ يوماً رأى عليه بهاء الجمال البدوي ومن سعة اخلاقه هزّة الطرب من تلهّب فؤادهِ وتوقّد خاطرهِ . وكان يناجي الحاضرين بأخبارهِ اللذّة وحوادثهِ الغابرة والحروب التي كان فيها بطلًا . وكنّا نسمع ذلك الراوي لمشكّرات الامور ونعجب من علمهِ بأيّام العرب وآدابهم وعوائدهم . وكان في اثناء ذلك يقوم شابٌ ويقدّم للضيوف القهوة المرّة البدويّة

وبينما القوم بهناء وصفاء اذ صدع الآذان خبَبٌ متواصل . فذُعر الحاضرون وارتاعوا وعلت على طلعاتهم امارات الخوف والرعدة واخذوا يتهامسون بينهم . من يا تُرى هذا المستجير في طيّات الظلام ? ما هذه الغارة ? كلّا هذا ليس بغزو فالغزو يتقدّم في مطلع الفجر - فخرج الجميع الى خارج المضارب واذا ببدويٍّ على متن جوادهِ يقطع السهول والهضاب وينهب الارض نهباً . فلمّا نزل الى مضرب الشيخ عبد الهدي نزل مرتعد الأوصال يرجف رجف الاوراق في الاشجار . فقال له : « علامك ? ويش علومك ?! اكفِ شرّك . ما هذا الاصفرار ? » وكان البدوي قد ثقل لسانه وذاب قلبهُ وحرتهُ فجلس وهو يشير الينا بالايماء . الى ان هدأت الحركات وسكتت الاصوات ورکن بالهُ وخفّ ارتعاشهُ فقالوا : قد لمّهُ لامس باسم الله

الرحمان الرحيم . فقلنا : دعوه يرتاح ردحاً من الزمن . وكان الفارس المتحير من عشيرتهم وهو من عقلاء الموازرة ثم أردفنا : ما لأمك يا ابا محمد ؟ فنطق حينئذ ولسانه يتلعثم بالكلام : صوتٌ . . صوتٌ طرق مسامعي من جهة الجنوب بالقرب من الحجر المنصوب (١ كنت ممتطياً جوادي الفتي وانشد الاشعار اذ سمعتُ لحناً مطرباً . فقلت : ما هذا النغم الشجي في البادية . ثم ارتفع كصوت ابطال الحروب واشتدّ حتى خُيّل لي انهُ زئيرُ اسد او هديرُ مياه السيول او قعقعة السيوف . فما كنت اسمع خبب حصاني بل كنت اسمع دقات قلبي تتعاظم وتشتد . فوقفتُ مرتاعاً وصرت أجيل نظري النقاد فما وقع على قوم ولا على شبح . فاستعذتُ برب الفلق من شرّ ما خلق . « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، باسم الله باسم الله » . وكان الصوت يتقدم نحوي كالبرق . فنزلت عن الجواد وقد هاج وماج . وانتشر حولي ضباب وامتدّ في عرض السماء وشعرتُ بدويّ الرعود والعواصف . وبدا لي ان السماء تمطر انهاراً وسيولاً وايقنتُ بالهلاك فودّعت الدنيا في تلك اللحظة . سلام على الاحباب والاقارب . هنا منيّتي هنا اجلي هنا أُدفن في مُلح العمر . وما كدتُ انطق بهذه الكلمات حتى رأيتُ السماء قد راق اديمها وصفا جوّها واضاءت النجوم بالوانها السنية

فقالوا : أهذا يرعبك وانت بطل من الابطال تُقارع الرجال ولا تهاب النزال . قال : شعرتُ بنفسي قد ذابت وتبدّدت في احشائي . وقد نذرتُ لربّ الفلق ذبيحة ممتازة نعجة بيضاء — قالوا جميعهم : قد لسنةُ لامس . قد لسنةُ باسم الله الرحمان الرحيم . وحكموا انه جنٌّ او روح شريرة قد تمثّلت له . ولا ينجو منها الا بالذبيحة

والما انتهى حديثه اخذ كلٌّ من الحاضرين يروي حكاية قد سمعها وشعر بها فأثرت في مخيلته . وكنا نعي في فؤادنا كلّ ما ذكروه من الارواح . فكنّا تارة نلقي عليهم سؤالاً وطوراً كان الحديث يأتي بالحديث طبقاً لأمانينا

ولم نكتفِ بما سمعناه بل مرّ علينا حينٌ من الدهر ونحن نعاشر الاعراب ونجالسهم فنستزيد علماً ومعرفة ونستوضح افكارهم عن الارواح ومظاهرها .

(١ الحجر المنصوب (dolmen) ويعرف بالنصب ج أنصاب هو نوع من المسلات القديمة طوله سبعة امتار قائم في قمة الجبل المشرف على سيل الزرقاء . وليس عليه كتابة تنبئ عن تاريخه وواضعه . وهو بالقرب من قرية ماحص . والانصاب كثيرة في فلسطين

سنذكر في مقالتنا هذه معنى الارواح عموماً والجن خصوصاً وما يعزُلون بالبشر من لاضرار والنكبات على زعمهم . وسنورد مكان تجلّيهم في شرق الاردن وما يقام لهم ن الاكرام . نروي ذلك دون التطع بصحته وفيه ما فيه من الغرابة والتخيُّل في مر الجنّ

١ في معنى الجن عند العرب

قال علماء اللغة : اصل هذه الكلمة من الاستتار ومن الجنين لانه مستتر في بطن مه او من الجنّة لاستتار ارضها بورقها . وقد ورد عند علماء اللغة ان الجن اجسام وائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة لها عقول وافهام وقدرة على الاعمال شاقة بخلاف الانس (١) . ويزعمون انّ الله خلق الجانّ من مارج من نار . قال ن العبّاس : المارج هو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا التهبت . وقال الجوهري : ارج نار لا دخان لها . وفي كنز الاسرار ان الجانّ هو ابو الجن كما ان الانسان و ابو البشر . وسمي جانّاً لتواريهِ عن العيان

وفي كتاب الاوائل : ان الله خلق الملائكة والجانّ من جنس واحد فمن طَهُر نهم فهو ملاك ومن خبث فهو شيطان . وما كان بينهما فهو جن (١) . ثم ان الجنّ صوا وفسقوا عن امر ربّهم وسفكوا الدماء . وقال غيرهم ان الجن خمسة انواع جانّ جنّ وشيطان وعفريت ومارد واضعفها هو الجان وهو مسخ الجن . واقواها هو المارد . في الخبر انهم اربعة وعشرون فرقة باشكال مختلفة على صور جميع الحيوانات . وفي آة الزمان عن الحسن البصري : هم ثلاثة انواع صنف في البر وصنف في البحر صنف في الهواء (٢)

لقد اوردنا ما سطرناه على علاتهِ نقلاً عن ائمة اللغة والحديث . واليكم قول اهل

(١) لا يعرف النصارى وسطاً بين الارواح البارّة اي الملائكة والارواح الشريرة اي بالسنة الذين خُلقوا صالحين ثم فقدوا الصلاح بتمرُّدهم على ربّهم فأصبحوا طالحين

(٢) روى مجاهد عن ابن العباس قال : « كان في الارض قبل الجن خلقٌ يقال لهم الجنّ لبنّ والطمّ والرمّ فاقرضوا ثم سكنها الجن فقاموا يعبدون الله زماناً فطال عليهم الامد فافسدوا . رسل الله اليهم نبياً كقول القرآن : يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم . وهذا سول يقال له يوسف فلم يطيعوه وقاتلوه . فارسل اليهم الملائكة فأجلتهم الى البحار »

البادية في الارواح : الجن روح خفي يظهر مراراً بصور مرعبة واشكال مختلفة يشتمل العيان بينة انسان او حيوان او جماد . وقد يمتاز عن النفوس البشرية اذ انه لا يقطن ابداناً والنفس البشريّة ترتاح في ضريح جسدها . والاعراب لا يخشون اللائكة الاطهار وانما يتعدون لذكر الارواح الخبيثة التي خُلقت لاضرار بني الانسان . وقد ابنّا ان اعتقاداتهم محمولة على المؤثرات الخارجيّة فلا يرهبون الا ما ينزل بهم ضرراً فيقيمون له اكراماً جزيلاً فالخوف هو مبدأ اكرامهم واجلالهم

ويدّعون ان الارواح تنتقل في اماكن عديدة فتطير من أطلال الى اطلال ومن مروج الى مروج لإرهاب البشر . على ان النفوس البشرية بعد الموت لا ترحل عن ابدانها الّا ما ندر . ومن غريب ما رأيت ان الاعراب قلّما يذكرون اللائكة الاخيار وقد لبثتُ بينهم سنين طويلة ولم اسمع الّا ذكر جبرائيل وعزرائيل ملاك الموت . ولم اسمع انهم قرّبوا ذبيحة لهذه الارواح الصالحة . ولا يسمّون الشيطان باسمه بل يقولون له : باسم الله الرحمن الرحيم

وكان العرب في الجاهليّة يزعمون ان الانسان اذا قُتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يُسمّى الهامة فلا يزال يصيح على قبره : اسقوني الى ان يؤخذ بثأره . وطائفة منهم تزعم ان هذا الطائر هو نفس الانسان تنشط من جسمه ولا تزال متصوّرة على صورة الطائر تصرخ مستوحشة . قال الشاعر العربي :

سُلّط الموت والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هامُ

وما زالت العرب تعتقد بالهامة الى ان جاء الاسلام فمنعه وقد ورد في الحديث : لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام (١)

ويقولون ان الجن يطلب بثأر الجان وبقي هذا الاعتقاد بين الأعراب الى ايامنا الحاضرة . وقد رووا ان اناساً اذا قتلوا جاناً اذ يرونه في الصحراء او جرحوه جرحاً بليغاً فالقاتل او الجارح يصيبه خبل وقلما ينجو من الموت عاجلاً او آجلاً

وقد يقلدون للاطفال التمائم لدفع الامراض الواردة من الارواح . والتمائم جمع تميمة هي الخرز او خرزة رقطاء تُنظم في السير وتُعقد في العنق قالوا انها سُميت تميمة

(١) العدوى هي سراية المرض . الطيرة هي ما يتشاءم به من الردي . الصفَر ضرب من الحيّات . الهام هي نفس المرء او الطائر المذكور

ن بها يتمّ امر الصبي . وكان الاعراب يضعونها على اولادهم كالرقاية من العين ودفع الارواح . وكانوا لا ينزعونها الا متى بلغ الصبي الحلم فيلبسونه الملمقو الازرار ويقلدونه سيف . وقد نهى عنها الحديث بقوله : « من علّق تميمة فقد اشرك » ولم تزل تلك تمائم بين اهل البادية

وكان الجاهليون يتبخّرون بالجزَى وهو نبات يشبه الكرفس الواحدة جزاة جزاة ويزعمون ان الجن لا يقرب بيتاً وُجدت فيه الجزاة فيؤمنون من غوائلها . للاعراب في ايامنا امثال يتدخّنون بها لطرد الارواح سنذكرها في محلها

ومن خرافاتهم في الجاهليّة اعتقادهم بالسِّعلاة والغول فالسعلاة حيوان من المتشيطنة اءى للناس في ظلمات الليل واكثر وجودها بالغياض فاذا انفردت بانسان ارقصته بت به كما يلعب القط بالفأر . واما الغول فهي ساحرة الجن تتلوّن بصور شتى تجلّى في الاطلال لتضلّ الناس عن طريقهم يروون عنها الاحاديث الغريبة . وبعضهم يفرق بين الغول والسعلاة . قال احد الادباء :

لما رأيتُ بني الزمان وما بهم ... خلٌّ وفيٌّ للشدائد اصطفي
أيقنتُ ان المستحيل ثلاثة ... الغول والعنقاء والخلّ الوفي

ومنهم من يوقن ان الهواتف هي ارواح غير مرئية تجاوب من يخاطب نفسه ، تلك خرافات ضربنا عنها صفحاً لما هي عليه من البعد عن مواقع التصديق . ومنهم يثبت وجود التوابع زاعماً ان لكل انسان تابعاً من الجن . ومن قولهم : له تابعة جنية . وكانوا يستخدمون كعب الارانب كضرب من التمائم لطرد التوابع

٢ مساكن الارواح على زعمهم

﴿ ١ الاطلال ﴾ ان الارواح على زعم العرب تقطن الهواء دهراً طويلاً ثم تعود تخذ الارض موطناً لها لاضرار البشر وتختار الاراضي الخربة والاطلال البالية حول المياه والاشجار العالية والمروج الخضرة والمغاور الواسعة . ولا ريب ان يين يرتاحون لذكر هذه المواقع القائمة في شرقي الاردن . وهي ملأى من الاطلال ية والأنقاض

وقد ذكر التاريخ الروماني والجامع المسيحية الاولى انّ تلك الانحاء كانت آهلة

بالسكان . مكتظة بالعمارة والبنيان زاهرة بما تقيم فيها من القصور الشامخة والمدن العامرة . على انه طرأ من الحوادث ما قلبها بطناً لظهر ومرّ عليها الغزاة والفاتحون فدمّروها ولم يبقوا منها الا اثراً بعد عين ولبثت اسماؤها القديمة الى دهرنا الحاضر فمن ذلك مدن الكرك وعمان ومادبا وديبان وماعين وكلها اسماء لمدن قديمة اتى عليها من عوامل الدهر ما جعلها رجوماً وانقاضاً

في ربيع سنة الف وتسع مئة وخمس عشرة كنا عائدين من الكرك فاتينا عند مطلع الفجر الى قصر الربّة وهي عاصمة المؤابيين (Rabbat Moab) . فوقفنا نتأمل في رفيع مبناه وما كان عليه من العظمة في الايام الغابرة . واليوم قد شاد عرب المجالي بيوتاً على انقاضه واقاموا مطحنة تجارية يقصدها من يجاورها من عرب الحليدة والمجالي . غير ان اكثر آثاره واعمدته وحجارته الضخمة لم تزل مبعثرة على جانب الطريق . وكان يرافقني ثلاثة رجال من عرب القاعين القاطنين مدينة الكرك . واخذ يروي لي احدهم حادثة جرت في ذلك الموضع قال : كان بدويٌّ من عرب المجالي هاجعاً ايام الشتاء في هذه المغارة وهي كهف من كهوف الربّة والى جانبه فرسهُ ام مرقوب . واذا في منتصف الليل قد ابرق برقٌ لامع في داخل المغارة ورأى اشباحاً تتحرك ثم اخذت تأدب مأدبة شائقة قد جمعت من انواع المآكل والمطاعم والزينة والنظام مما لم يقع عليه نظرهُ من ذي قبل

فبهت مذعوراً يعاين هذه المشاهد الرهيبة والاشباح المريبة . قال : اخشى من قوم بني القوم البخلاء لا احد يدعوني الى الطعام . فثابت اليه نفسه وشوّقته الى هذه المائدة الفاخرة فتطفّل وما كاد يقترب منها حتى غابت عن انظاره ولم يرَ من الوليمة اثراً فقال : هذا مسكن الجن . وفرّ هارباً

ويروي الاعراب اموراً مستغربة عن الاطلال ويقولون انها آهلة بالارواح الخبيثة . فانّ خربة عطروس وهي عطاروت (Ataroth) القديمة القائمة في ارض سبط جاد تعدّ مسكونة . وكذلك مكاور (Machéronte) يخشاها البدوي ولا يتزل بها . فاذا سار المسافر في وادي الزرقاء وقطع تلك المياه المعدنية الكبريتية يصل الى ارض متجهة نحو الجنوب . فلا يسمع نسمة انسان ولا حركة حيوان بل يرى القحط والسكون تغلب تلك الكائنات واذا به بعد ساعات ثلاث امام خربة مكاور .

واول من شاد مسكناً في تلك الاصقاع هو احد ملوك المكابيين اسكندر يانّي. ولمّا دارت رحى الحرب في ايام بومبيوس هُدم القصر. وبقي ردوماً الى ان جاء هيرودس الكبير ورفع اسوارهُ وشاد ابراجه ليصدّ عنه طوارق الزمان وصدمات الاعداء. وكان هيرودس انتيباس قد اقام فيه سجناً لارباب الجرائم الكبرى. وفيه سُجن يوحنا السابق وقُطع رأسهُ (متى ١٤: ٣-١١). فالقلعة عظيمة جداً ممتدة على قمة الجبل كلهِ ويسمّي الاعراب تلك البقعة عطروس. واذا قلّب المرء طرفه في شواطئ بحيرة لوط يرى هذه التربة باسرها من شمالها الى جنوبها ثم يمتد النظر الى جبال اليهودية فيعاين حبرون واورشليم وبيت لحم. وهو يرتفع عن سطح البحر المتوسط ٧٢٦ متراً وعن سطح بحيرة لوط ١١٢٠ متراً. ومن مكاور الى عطروس ثلاث ساعات يطويها المسافر في مواطن قاحلة. وفي عطروس يشاهد شجيرات بطم مرتفعة بين الصخور والاحجار. فهاتان الخربتان يخشاهما البدوان قلّما يحلّون في ربوعهما بل يلبثون بعيدين عنها. وقد تعهّدنا بانظارنا تلك الاطلال وتذكّرنا النبوات الرهيبة وما آلت اليه من الذلّ والخراب. وقطعنا تلك الانقاض الى وادي الهيدان (Hidan) وانتهينا الى ديبان وهي ديبون القديمة التي افتتحها الاسرائيليون كما جاء في سفر العدد (٢١: ٣٠) واسرعنا الخطى نحو عراعر او عَرُوعير (يشوع ١٢: ٢٠ و ١٣: ٩) وهي قائمة على شرفة وادي الموجب الشمالية

فتقابل المسافر على قمة عراعر واذا بك امام وادٍ عظيم فتأخذك الرهبة والهيبة. هناك هوّة عظيمة لم نرَ مثلها في كل الاردن الشرقي وهي تنحدر بين عطفات ولفّات الى ستمائة متر الى ان تنتهي الى الوادي. فهذا هو وادي ارنون الشهير ويُدعى اليوم وادي الموجب. واذا تسنّمت سفحهُ الجنوبي وعلوت تلك الهضاب كدرجاتٍ الى قمتهِ الشامخة تعاين عن بعد جبل شيحان وهو ارقى ذروة في ارض مواب. وهو يعلو عن سطح البحر المتوسط ٨٤٨ متراً. فلمّا مررنا بتلك السهول الخصبة تمثّلنا قول الكتاب حيث يقول: وكان سيحون مالكاً من الارنون الى اليابوك (٣ ملوك ٤: ١٩ وعدد ٢١: ٢١ وارميا ٤٨: ١٥) فالاعراب من مسلمين ومسيحيين يأتون في بدء الربيع ويقدمون ذبيحة لربّ تلك الاطلال ويستعطفونهُ لاولادهم وغنمهم وماشيتهم

وقد سألت حمدان بن مجلي ما هو هذا الرب؟ قال: هي الارواح التي تقطن من الوجب الى شيحان

﴿ ٢ المياه المقدسة ﴾ اذا تصفحنا التاريخ القديم وجدنا اثاراً عديدة لإكرام المياه المقدسة. فان بئر زمزم كانت مكرّمة في عهد الجاهلية. ولما افرغها جد نبي الاسلام وطهّرها من الاقذار وجد فيها غزالين وسيوفاً فضية. فان العالمين ولهوزن وسميث (Welhausen et Smith) قد اثبتا ببراهين دامغة وحجج راهنة انها كانت هدايا تبرّع بها الجاهليون لاله المياه

وروى المؤرخون ان اهل تدمر كانوا يبجلون لإلاهة السعادة في بركتهم المقدسة. وذكر ارباب البحث عن ماء شرقي ديوم (Dium) اشتهرت بوركتها المقدسة. فكان السكان يلقون فيها التقادم فاذا نالت رضى وقبولاً في اعين الالهة تهبط الى اسفلها وترسب في قعرها واذا رفضتها عامت على سطحها (Sozime,Hist. I). ولم يخرج الكلدانيون عن سنن القدماء. فألّهوا الانهار وينابيع المياه وعزوا اليها قوة عظيمة لاهلاك البشر وتدميرهم فاننا نتلو في كتابة كلدانية لأ تو بانيني ملك لولوبي هذه الكلمات: « ليهلك البحر الاعلى والادنى اهلة ونسله بضرره العظيم ». والبكم صلاة وجيزة يطلب قائلها الخلاص من المياه: « لتخلصك مياه الفرات ودجلة وتمح ذنوبك وجرائمك وتنجك الهة مكلكل ودوركيب » وربما استغاث المؤمن بآلهة دجلة والفرات ايزوم وسوبالال قائلاً: « ليخلصك إلاها الفرات ودجلة ايزوم وسوبالال ». ونجد في الكتاب المقدس في التواريخ القديمة ان الشعوب كانت تطهر الآلهة من الرجس اذ ينضحها كهنتها بمياه الينابيع. ويسمونها مياه القديسين. وكانوا يتقسون بالمياه لاسيما بالمايعات ويرمون فيها الطعام الفاخر والشراب الصفى. وربما وهبوا الينابيع وسدنتها ألبسة ثمينة ومجوهرات نادرة. واضاءوا مصابيح زيت لرب المياه

غير ان الاعراب في دعرنا الحاضر قد الّهوا الجلالاً بيناً للعيون المشهورة في شرقي الاردن لما رأوا فيها من القوة الغريبة وعهدوا فيها من سلطة الارواح الواسعة كما زعموا فضلاً عن منافعها المتوفرة في ارض قاحلة مجدبة

هناك تبذ الاغنام وتستقي بعد حرّ النهار ووقدانه. فأول مرتع للارواح هو

حمّام الزرقاء . اذا سار المتجول من قرية مادبا جنوباً يقف بعد ساعة امام قرية حقيرة تُدعى ماعين فيشهد فيها آثار ثلاث كنائس بحناياها واعمدتها وكتاباتها ثم يتخذ طريقاً مشهوراً الى حمّام الزرقاء . فيصل اليها بعد ست ساعات . وكانت تُدعى قديماً المياه الحارّة (Callirrohé) . ففي قعر ذاك المنحدر يماين نبات المناطق الحارّة كثوبية وجزيرة العرب من اشجار التمر وغيرها ويشاهد المياه المعدنية الكبريتية تتصاعد نحو السماء كاعمدة بخارية . وكان هيرودس الكبير قد اقام على ضفافها حيناً طويلاً . على ان الاعراب يقصدونها من اطراف البادية في شهر ايار فيَردونها زرافات زرافات ليستحمّوا فيها وينالوا الشفاء . والقصب الطويل يمتد الى شواطئها على مدى بعيد . فيأتي الزائرون ويبنون بالقرب منها منازل يستظلّون تحت خيمهم من اشعة الشمس . وقبل ان يخوضوا في تلك المياه المعدنية يذبحون ذبيحة لرب المياه . وفي ربيع سنة ١٩١٥ قد حضرنا تلك الزيارة وشاهدنا عدداً عديداً من العربان يستحمّون في المياه الكبريتية . وكانت تغور طوراً تحت الارض ثم ترتفع منفجرة نحو الفضاء . فاذا فارت كان الاعراب يصرخون ويقولون : « رب الماء غضب علينا » واذا سالت بشدة يقولون : « رضي علينا سليمان النبي »

وقد يصبُّ في بحيرة لوط نُهيرات متنوعة شرقاً وغرباً فالاعراب يسمونها انهار سليمان النبي . فالبحيرة كلُّها تختص بالنبي سليمان وكلها آهلة بالارواح . فالمياه الشرقية هي سيول جارفة تنضب في ايام الصيف والبكم اسماءها من الشمال الى الجنوب عين لسوية وسيل الغوير وعين النشلة وعين حمارة ثم زرقاء ماعين والسارة وسيل الدانية وسيل الميدان ووادي الوجب ووادي جبل شيحان ووادي درعا ووادي الكراء ووادي شمورة وغور الصافية . واما المياه الغربية فاهمها عين الشخة ووادي النار ووادي الغشاشة الغوير والقامرة والدرجة وعين جدي ووادي مربة ووادي الخبرا ووادي السيال

وهناك بيباغ ومستنقعات كثيرة تسكنها الوحوش الضارية بالقرب من غور شريعة وعلى ضفاف بحيرة لوط . فالارواح تقطنها على رأيهم ويزعم الاعراب انهم سمعوا فيها من الاصوات المزعجة المرعبة

وبالقرب من السلط عين تُدعى عين الحرامية . وفي الكرك عين الزنج وفي بال الحمرة عين الحمرة لا يقرّب الاعراب منها قبل تقديم الذبيحة . وعين الحمرة

واقعة في ارض صخرية وراء سيل الاردن شرقاً ممتدة من الشمال الى الجنوب . فقد روى لي احد الثقات ان عرب العدوان يذبحون على جدول نمرين ذبيحة لرب الماء وذلك حينما يُغرّبون اي يترحلون في الشتاء الى هضاب الاردن الشرقي اتقاء لبرد الجبال القارس . واهل الغور اذا ارتفعوا الى الشفا اي الى شرقات السهل يذبحون لرب العيون وبنو صخر لهم مياه محفوظة في الرمال شرقي زيزيا يسمونها سيل الثمد وهي آبار قديمة مبنية في الرمال . فاليا يوردون اغنامهم ومواشيهم ايام التشريق ويخشون ان يضربوا اطنابهم قبل إيداء فرض الذبيحة . فيقولون « دستور يا رب الماء »

روى لي عقيل بن سكران الفجر من السلط قال : نزلنا على عين الحرامية نريد الصيد وهي واقعة على مسافة ساعة من الجهة السلطية الشمالية . وهناك غابة سنديان عريقة في القدم . فلبثنا الليلة كلها ولم نصب شيئاً وفي منتصف الليل مرَّ بالقرب من كوختنا نمر هائل وكان يطوي الارض والارض ترتجّ تحت اقدامه . فارتعد الصيادون واخذوا يلتصقون بالاغصان لئلا تقع عليهم عين الحيوان المفترس . فقال احدهم : اما تدرون ان المحلّ مسكون ? وصرنا ندعو اسم الله الكريم . ولما زال اضطرابنا وسكن قلبنا فررنا من هذه المناظر المخيفة وعدنا صباحاً قبل الفجر فلم نرَ اثراً الحيوان فأيقنا ان المكان مأهول بالارواح

وفي نفس السلط عين ماء جميلة تدعى عين الجادور كانت تنحدر قديماً من القلعة العليا المشرفة على البيوت . فانهدمت تلك القلعة مع تمادي الزمان . وفي ايامنا الحاضرة يرى الاهلون فيها اشباحاً في الليالي الدامسة . فلا يتجرأ احد على الورود في تلك الاطلال الا وبيده بندقية . يزعمون انه يظهر فيها عجوز شوهاء تدخّن بغليونها الكبير وهي جالسة على الطريق

وقد ذكر لي الشيخ ابو ستة في ماعين ان الارواح ترتاح الى عيون موسى وهو سيل غربي مادبا ينحدر في ارض عرب العوازم والزرايدة . والعرب يقربون قرب الماء ذبيحة ممتازة في كل سنة

هذه مزاعم العرب وعاداتهم رويناها كما سمعناها وشهدناها على علاتها ليقف القراء على معتقداتهم في الارواح تاركين الحكم في صحتها لاهل الانتقاد

لها تابع

كتاب الكُتّاب لابن درستويه

نشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب السادس

(١٨٤) هذا باب الزيادة وفصولها

١ شروط الزيادة وعللها

اعلم انّهم لا يزيدون في الخطّ من الحروف الّا ما يحذفون وذلك حروف المدّ واللين وما ضارعها لأنّ حروف اللين هي أُمّ الحروف التي لا تخلو منها كلمة وقد بيّنّا ذلك في ما مضى وانّما يُزاد الحرف للفرق بين الكلمة وبين غيرها وللعوض من شيء محذوف

٢ زيادة الألف

فمن ذلك الالف تُكتَب بعد واو الجمع اذا لم تتّصل الكلمة بعلامة الضمير او لم يكن بعد الواو نونُ الجميع مثل «قالوا ولم يقتلوا وبَنُوا زيد وذَوُوا مالٍ»[١] فان وقعت بعد هذه الواو علامة الضمير او جاءت النون لم تُكتَب هذه الالف مثل «لا يقتلون وهم بَنُوك وبَنُون» فصارت هذه الالف في الخطّ فرقًا بين واو الجميع وبين غيرها وعوضًا فيه من النون (١٨٤) في الموضع الذي تسقط فيه مُعاقِبَةً لها ولا يجوز ان تُكتَب هذه الالف في «يغزو ويَتلو» في حال رفع او نصب ولا في مثل «هذا اخو زيد» لما ذكرنا ولأنّ واو «يغزو واخو زيد» ليستا بدخيلتين في الاصل كواو الجميع. قال الخليل بن احمد: انّ الالف كُتبت مع واو الجميع من أجل أنْ ينقطع المدّ عند مخرج الهمز هو أنّ واو الجميع لا اصل لها في الواو وانّما هي مدّة والمدّات لا مُعتمَد لها في الفم ولكن يتّسع لها الفم فتهوي في جوفٍ من اقصى المخارج او ادناها ثمّ تنقطع من حيث ابتدأت الهمزة ولم يكن في المدّات الثلث

١) لم تُكتَب اليوم الف الجماعة الّا في آخر الفعل (المشرق)

شيء أشبه بالهمزة صوتاً من الألف فتفصل بين هذه الواو التي هي مدّة وبين التي ليست بهوائية بهذه الزيادة وخُصّت الألف بالفرق لما ذكرنا.

ومن ذلك الالف التي تُزاد في « مائة » اجمع النحويون على أنها للفرق بينها وبين « منه »(١) . وقد يجوز ان تكون في الخطّ عوضاً مما نُقِصَ من الكلمة وذلك أنها « مِئَة » على وزن « فِئَة ورِئَة » فقد ذهبت لامُ الفعل منها كما ذهبت من « كُرَة وظُبَة » لأنها من قولهم « تَمَأَّى القوم » اذا تباعد ما بينهم لعداوة او نحوها فاذا ثُنّيت المائة كانت هذه الالف لها ألزم ليُفرَّق بين تثنيتها وجمعها في الجرّ والنصب فيُكتب الاثنان « اخذتُ مائتين » (39°) باسقاط الهمزة لاجتماع الاشباه على ما تقدّم تفسيره ويُكتب الجمع « اخذتُ مِئين » باثبات الهمزة وحذف الالف . ولا تُحذف الالف من التثنية في الرفع كما لا تُحذف من غيره وتُزادُ الهمزة في الرفع لزوال الأشباه وذلك « مائتان » فان جُمعت مائة بالالف والتاء حُذفت الالف لأنها لا تُشبه ها هنا « منه »(١) ولأنّ علامة الجمع قد قامت مقام العوض فكُتبت « مِئات » مثل « مِئين » . وهذا على شذوذه اقرب الى القياس من كثير مما يفعله جهلةُ الكُتّاب كزيادتهم الالف في مثل « يقرأوه ومن خَطَأَئه » ونحوهما وذلك مما لا يجوز بوجه من الوجوه وقد مضى قياسه في باب الهمزة

ومنه الالف التي تُزاد في « أنا » في الكتاب في الوصل والوقف كما تُزاد في اللفظ عند الوقف وكان حقّ هذه الكلمة ان تُزاد عليها هاءٌ في اللفظ عند الوقف(٢) لتحرّك آخرها ولا يُزاد عليها في الخطّ شيءٌ في حالةٍ لأنها مما ينفرد . ولكن لما كثرت في الكلام وارادوا تخفيفها جعلوا الالف بدلاً من الهاء في اللفظ في الوقف كما يبدلون الالف من النون الخفيفة فأُجريَتْ في الخطّ مُجراها في اللفظ وأُلزمت الزيادةُ في الوصل كما أُلزمت في الوقف لئلا تُشبه « أن » الداخلة على الاسماء والافعال (39°)

ومن ذلك الألف التي تُزاد في « صانا » في اللفظ في الوقف والإدراج كما

١) يشير الى الكتابة بالخطّ الكوفي قديماً او الخطّ المهمل دون نقط فتُكتب مائة او مئة هكذا (مه) كما تُكتب منهُ (منه) فيلتبس الحرفان (المشرق)
٢) اي كأنها كُتبت « أنَهْ »

فعل ذلك في «أنا» وجرى الخطّ على اللفظ والدليل على زيادتها قول الله عزّ وجلّ (١): «حاشَ لله». ولهذا اخترنا كتابها بالالف لانّه لا اصل لها عندنا في الياء والواو

٣ زيادةُ الهاء

فامّا الهاء فانّها تُزاد في الخطّ على كلّ فعلِ أمرٍ به وكان لفظُه على حرفٍ واحد مثل «رَهْ» و«عِهْ» و«قِهْ» و«فِهْ» (من الوفاء) و«شِهْ» (من الوَشْي)» وذلك انّ الحرف واحد لا ينفرد فانْ اتّصل بشيءٍ من هذا ما قبلَه لم تُلحق فيه الهاء. وانّما يتّصل به اذا كان على حرفٍ فلم ينفرد كالهاء. والواو وذلك قولك: «زيداً فِرْ» و«وجهَهُ وَشِ ثوبَه» ونحو ذلك. وكذلك «ما» اذا استفهمتَ بها فحذفت ألِفُها في اللفظ وأُلحقتْ بها الهاء وقفًا كتبتَ «مَهْ». فان اتّصل بها مثل الباء واللام لم يَجُزْ اثبات الهاء كقولك «لِمَ» و«بِمَ». وقد اجرى بعضهم جميع حروف (٤٥ b) الخفض على اكثرَ من حرف واحد مُجرى الباء واللام مع «ما» اذا حُذفت ألِفُها في الاستفهام فجعلوها متّصلة فاثبتوا الهاءَ معها في الخطّ في مثل «عَلامَهْ» و«الامَهْ» و«حتّامَهْ». والدليلُ على أنّهم صاروا ذلك كلّه بما كتبهم ايّاه بالالف وتركهم الياء فقد جمعوا بين زيادة الهاء بين وَصْلِ «ما» بما قبلها وهذا خلاف القياس والصواب عندنا أن يُكتب «عَلَى وإلى مَهْ وحتّى مَهْ» بالهاء لانّ الميم لا تنفرد وألّا تُغيَّرَ الياآت التي فيما قبلها لأنّ هو على اكثر من حرف لا يجب وصلهُ بها

٤ زيادةُ الواو

فامّا الواو فانّها تُزاد في «عَمْرو» في حال الرفع والجرّ لِيُفرَق بينها وبين عُمَر الذي لا ينصرف. وهذا أشذُّ عن القياس من ألِف مائة وفيه يقول بعض المُحْدَثين:

أنّما انت في سُلَيْمَى كواوٍ ألحقتْ في الهجاء ظلمًا بعَمْرو

ولا تثبت هذه الواو في القافية لما نذكُرُهُ في بابه ان شاء الله وانّما (٤٥ c) كان ذا لانّ مثل هذين انّما يُفرَق بينهما بالشكل ولو زيدت الواو في كلّ اسم اشبهَ

(١) سورة يوسف ع ٣١

آخرُ لصار اكثرُ الكلام بواو مثل • قَلبٍ وقُلبٍ وقَدْرٍ وقِدْرٍ وعَدْلٍ وعِدْلٍ وحَمْلٍ وحِمْلٍ • . فان نُصِب عمرٌو ونُوّن او ثُنّي او صُغّر او أُضيف الى مُضْمَرٍ لم يَجُز اثبات الواو فيه كقولك •هذا عُمَيْرٌ وجآءني العَمْران ورأيتُ عَمْرًا ومررتُ بعَمْرِك • . ولا تُكْتَب هذه الواو في العَمْر واحد العُمُور ولا في قولك • لَعَمْرُ اللهِ بإعْدِ أمّ العَبْد من أبيها • وانما تُزاد في الاسم العَلَم لشهرته في اسمائهم وكثرة استعماله واستعمال ما يُخاف ان يُلتبس به ولم يخَفْ كذلك

ونظيرُ هذه الواوُ التي تُزاد في • أُولئك •فرقًا بينها وبين• إليك •وفي• أُولي • فرقًا بينها وبين • إلى وألا • ونحوها وهذا أقيس على كلّ حالٍ من واو عَمْرو لأنها في اسم مُبْهَم والمُبْهَم يقع على كلّ شيء . فاما • ألي • المقصورة التي في قولهم •الألى فعلوا ذلك • فلا تُزاد فيها الواو لأنّ فيها الألف واللام فلا تلتبس بما ذكرنا . وفيما قلنا من الزيادات دليل على ما لم نذكره

الباب السابع

(٤١) هذا باب البدل وفصوله

١ شروط البَدَل وعِلّته

اعلم انّ الحروف التي تُبدَل في الخطّ هي التي تُحذَف وتُزاد ولا تُبدَل غير حروف اللين وما ضارعها الّا اتباعاً للفظ ولا يقع البدل في الكتاب **الّا قوّةً او** تخفيفاً او اتباعاً

٢ بَدَلُ الهآء

فمّا يُبدَل لاتّباع اللفظ الهآء التي تُبدَل من تآء التأنيث في كلّ اسمٍ مؤنّث مُفرَد . وانّما يُبدَل ذلك في اللفظ عند الوقوف على الكلمة خاصّةً فامّا الخطّ فيُبدَل ذلك فيه في الوقف والإدراج فيُكتَب : • ثَمَرَةٌ طَيِّبَةٌ ومَرْأةٌ حَسَنَةٌ وهذه جارِيَةُ زَيْدٍ • كلّ ذلك بالهآء الّا أنْ يُضاف الى مُضْمَرٍ فيُرَدّ الى التآء فلا تُبدَل

فيها الهآء في لفظٍ ولا خطٍّ ولا وقفٍ مثل قولك : « شجرتانِ (٤١) » وشجراتٌ فهذا قياس هذا الضرب

وقد خُولف بكلماتٍ منه فأُلزمت التآء على كلّ حالٍ في الواحد المؤنّث غير المضاف الى المضمر وذلك قولهم « ذاتُ مالٍ ولاتَ حينَ مناصٍ وربّة وثَمّةَ والتي وذاتا » لمّا كانت مضافةً او متّصلة او لا تكاد تنفصل ولم يكن لانفصالها معنى ومبهمة او حروفٌ معنًى قويت التآء فيها . وكذلك « هَيهاتَ » لمّا كانت تُكرَّرُ ويلزمها الاتّصال بما بعدها فُعل بها ذلك

ومن ذلك « ثُمّتَ » في ثُمَّ و « رُبّتَ » في رُبَّ لمّا تعلّق بهما ما بعدهما وهما حرفان ولم يكن لافرادهما معنًى أُثبتت التآء فيهما وكذلك « رَحمتُ اللهِ » في حال اضافتها الى الله وحده لكثرة استعماله معه في التحيّة صارت بمنزلة ما لا ينفصل البتّة . ومن ذلك « اللاتُ » اسم الصنم كُره إبدال الهاء من تآئها لئلا يُشبه اسمَ الله جلّ وعزّ . ونظير الهآء من « ثمرةٍ وشجرةٍ » هآء « هذه » لانّه بدلٌ من يآء التأنيث في هذي

٣ بدلُ الألف

ومن ذلك الألف التي تُبدَل من التنوين في حال النصب وانّما يُفعل ذلك (٤٢) في اللفظ عند الوقف خاصّة فكُتبت الالف في الوصل والوقف وذلك « رأيتُ زيداً العاقلَ ولقيتُ زيداً قاضياً عادلاً » . ونظيرها الألف التي تُبدَل في اللفظ من النون الخفيفة عند الوقف وذلك « لا تَضرباً زيداً » وفي الامر « إضرباً زيداً » تثبتُ هذه الالف في اللفظ في الإدراج ولكنّها في الخطّ تثبت في الحالين (١) . ومنه قول الله عزّ وجلّ (٢) : « لنَسفَعاً » . وقول الشاعر :

متى تأتنا تُلمِمْ بنا في ديارنا ... تجِدْ حطباً جزلاً وناراً تأجّجا

يريد « تأجّجاً » بالنون . فاذا اتّصل بها علامة ضمير لم تُكتَب الّا نوناً كما هي في اللفظ كقولك : اضربَنّه . وكذلك اذا كانت لام الفعل همزة لم تُكتَب الفاً كقولك « اقرأنْ وابدأنْ » لئلا يجتمع في الخطّ الفان وتُحذف احداهما فيذهب

(١) الشائع اليوم كتابة هذه الصيغ بالنون : لا تضربَنْ إضربَنْ (المشرق)

(٢) سورة العلق ع ١٥

دليل النون وان كُتِبَ هذا الضرب بالفٍ واحدة ونُوِّن بالشكل كان صوابًا . ومن العرب من يبدلها في اللفظ مع الضمر فيقول « اضربَاهُ يا غلام » وحُكي منهم : « يا حَرَسِيّ اضربا عنقه » وهو شاذّ .

وقد زعم قوم انّ هذا من قول الله جلّ وعزّ (١ : ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد . وقوله (٢ : « ألقياه في العذاب الشديد » وقيل انهما للملكان وهذا احسن(٣ وزعموا انّ مثل ذلك ايضاً قول امرئ القيس (*٤) :

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ

وانّما هو عندنا مخاطبة للاثنين يعني صاحبَيْه كما يقولون « يا صاحبَيّ يا عاذِلَيّ » للاثنين

وامّا « إذَنْ » فلا يجوز ابدال الالف من نونها في خطّ ولا لفظ في وصلٍ ولا وقفٍ لأنّها من نفس الكلمة وليست بدلًا ولا زيادةً وانّما هي كنون « بنْ وعَنْ ولَدُنْ » . وكذلك يجب ان تكون ايضاً على قول من جعلها من كلمتَيْن « إذْ وأنْ » لأنّ نون « أنْ » ايضاً لا تُبدل وانّما غلطَ مَنْ وقف عليها بالألف منهم فشبّهها بالنون الخفيفة والتنوين وليست مثلهما . وليست كنون « لَدُنْ » التي تُحذف مرّةً وتكون الفًا مرّةً فتُكتب على لفظها بلغاتها(١ . ولو كانت ايضاً ممّا يجب لها الإبدال لوجب إثباتُها في الخطّ نونًا فرقًا بينها وبين « إذا » التي هي للظرف لأنّ ألفها ثابتة . ومن كتبَ إذَنْ على لفظ مَنْ أبدل وجبَ عليه ان يُنوّن بالشكل

٤ بدل الواو

وامّا بدل الواو فانّ الواو أُبدلت في « الصّلوة والزّكوة والحيوة » غلطًا في الخطّ (*٤) واستُعمل حتّى أُتبِع . وانّما هذه الكلمات بقوله « الصّلاة والقطاة والقناة والمَراة » . وزعم الخليل في كتاب العين انهم كتبوا « الحيوة » بالواو على لغة من يُفخّم الالفاظ التي اصلها الواو في مثل « الصّلاة والزّكاة » . وسيبويه يقول انّ الالف التي في « الحياة » اصلها الياء وانّ « الحيوان » اصلهُ الحَيَيان . وكذلك قولهم « رجاء بن حيوة » انّما الواو بدلٌ من الياء . ورُوي في الحديث انّ الله جلّ ذكرُه

١) سورة ق ع ٢٣ ٢) فيها ع ٢٥
٣) اي خطاب من الله الى ملكين (ناكر ونكير) بالمثنّى (المشرق) ٤) اي يقال لدى

لمّا علّم آدم الاسمآء قالت الملئكة له وعنده حوّآء لتعلَم ما بلغ من علمه قالوا : ما هذه يا آدمُ . فقال : المرأةُ . قالوا : ولِمَ سُمّيت المرأةَ . فقال : لأنها خُلقت من المرء . فقالوا : وما اسمُها . فقال : حوّاء . فقالوا : ولِمَ سُمّيت حوّآء . قال : لأنّها خُلقت من شيءٍ حيّ . فالواو الأولى من حوّاء على هذا الاشتقاق عند الفريقَين مبدلةٌ من يآء . وفي قول سيبويه انّ الثانية ايضاً مبدلةٌ . واما على غالب قول اهل اللغة فـانّ حوّآء مشتقّة من الحُوّة ١) ولو كان إبدال الواو من الف « الصّلاة والزّكاة والحَياة » قياساً على لغة من فخّم ذوات الواو للزم الإبدال في جميع نظائر « الصّلاة والزّكاة » . وكتاب ذلك كلّه بالالف هو الصواب والقياس . ومن آخر العادة (43) وجرى على الاستعمال في هذه الكلمات خاصّة لم يُجِز فيها اذا ثُنّي واضاف الى مضمر ووجب عليه الرّدّ الى القياس والاصل واثبات الاصل فيها كقولك « صَلاتُكَ وزكاتُكَ وحياتُكَ وصَلاتانِ وزكاتانِ وحياتانِ » . وكذلك حكمُ الواو التي تُبدل في الرّبو (الرّبا) وهي اقبح لأنّها في الطرف

٥ ابدال اليآء

ومن ذلك ابدالهم اليآء من همزةِ « إذْ » وقد وقعت اوّلاً ولم يتقدّمها همزة . وانّما فعلوا ذلك بها لمّا جُعلت مع ما قبلها من اسمآء الزمان اسماً واحداً مبنيّاً على الفتحة كخمسةَ عشرَ فشُبّهت همزتها بالهمزة المتوسّطة في مثل سئِم فجعل خطّها على تخفيف اللفظ وذلك « يومئذٍ وحينئذٍ وساعتئذٍ وليلتئذٍ وزمانئذٍ » فهذه قريبة من القياس . فاذا لم يُجعَل الاوّل مع الثاني بمنزلة خمسةَ عشرَ وأُعرب الاوّل منهما بإعرابه فالصوابُ فصلُهما واثباتُ الهمزة الفاً لزوال العلّة التي صارت بها متوسّطة وذلك قولك : « هذا يومُ إذٍ وكان ذلك في ليلة إذٍ . ورأيتهُ ليلةَ إذٍ » (44) ونحو ذلك . وعلى هذا اذا وقعت اليآء في لئلا بدلاً من الهمزة في الخطّ لمّا أُدغمت نون « أنْ » في لام « لا » فصارتا متّصلتين بمنزلة كلمة واحدة وكثُر استعمالها فجُعلت الهمزة كالمتوسّطة اذ كانت

---

١) الحُوّة اللون الاسود الى الخضرة . وهذا الاشتقاق باطل لو عرف ابن درستويه اللغة العبرانيّة حيث ورد خبر خلقة حوّاء الذي نقله اهل الحديث بحرفه لمّا قال ذلك وقرّر اصل اسم حوّاء من الحياة وقد جاء في سفر التكوين . انّها دُعيت بذلك لأنّها امُّ الاحياء (المشرق)

اللام لا تنفرد وكان ذلـك في الخطّ احسن من أنْ يُكتب « لألا » على لفظ الادغام وتحقيق الهمز فتُكرَّرُ الصورة . وكذلك « إن » المكسورة لمّا دخلت عليها لام القسم فأبدلوا الياء من الهمزة فكتبوا « لَئِنْ اتيتني لأُكرمَنَّكَ » لأنّها كالمتوسطة اذ لم تكونا تنفصلان وفرقوا مع ذلك بينها وبين لام القسم ولام الجرّ اذا دخلتا على « أنْ » المفتوحة في قولهم : « لأن تُكرمَني أحبُّ اليَّ » و« أكرمك لأنْ تُكرمَني » فهذا مذهبٌ وقياس

وقد أُجريَت همزةُ أبي هذا المُجرى فأبدلوا منهـا في الخطّ الياء من قولهم : « بِيبي انتَ » (١) لأنّ هذا شيء كثُر في كلامهم حتّى صارتِ اليـاء مع ابي بمنزلة اسم للتفدية كالكلمة الواحدة فاشتقّوا منها الفعل والمصدر كما اشتقّوا من عبد شمس وعبد قيس فقيل « عبقَسيّ وعبشَميّ » فقالوا « بأْبَأتُهُ بأْباءً » ونحو ذلـك وجرى مجرى المثل وجاز فيه مـا يجوز في الامثال من الحذف والتغيير . ويدلّ على ذلك قول الراجز (٣٩٣) :

يا بِيَبِيَا انتَ ويا فوق البِيَبْ . . .

الا تراه قـد ادخل الالف واللام على بِيَبْ فلو لم يكونا عنده اسماً واحداً منكوراً بمنزلة فِداء ما فعل ذلك . وقال الآخر واشتقّ منها فعلاً :

الصَّبْرُ بي أجملُ ما أنْ يُذْرَفَنْ وأنْ يُبأْبَأنْ وأنْ يُفَدَّيْنْ

فالهمزة هاهنا متوسطة ولذلـك تُبدَل في الخطّ ياء على قياس تخفيف اللفظ ولا يجوز ان يُفعَل ذلك بأبٍ في غير التفدية على ما بيّنّا

وامّا إبدال الهمزة في اوائل المصادر التي فيها الف الوصل عند سقوط إثبات الوصل منها واتّصالها بحرف لا ينفرد هجاءً مرّةً وواواً مرّةً والفاً مرّةً كقولك : « ائذنْ مـالي بائتيانِي زيداً ولا تجاري عمراً . ولم أرَ كائتيانِي زيداً . واللهِ لإيجاري كان أجمل بي » فانّما ذلك لاتّباع الخطّ اللفظ وذلك انّ الف الوصل لمّا ذهبت في اللفظ تبعت الهمزةُ حركةَ ما قبلها فصارت ياءً مع المكسور والفاً مع المفتوح الّا انّ الفَ الوصل لا تُحذَف من الخطّ مع المكسور وتسقط مع المفتوح لأنّ الهمزة التي بعدها قد صارت الفاً ايضاً فلا يُجتمع بين المثلين لما (٣٩٤) قد بيّنّاه . ولو لحقت هذه

(١) اي بدلاً من « بأبي انت » وهو اليوم غير مأنوس

الصادرة حروف تنفرد لتبيّن على حالها في الابتداء. وذلك مثل ٠ مـا أتاني زيدًا ضوابًا ووجدتُ اتّجاري عمرًا أضربَ ٠. وباب الهمز أجمع من باب البدل ولكنّا قد افردنا ذلك عمّا ليس بهمز وعمّا شذَّ عن بابه ٠ وفي ما بيّنّا دليل على ما لم نذكره

(له تابع)

طرفة

من اخبار دير الشرفة

للقس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

لنا اقرارًا بما لدير الشرفة علينا من الأيادي البيضاء. واظهارًا لما يستبطنه قلبنا نحوه من عواطف الحبّ والولاء. اذ ارتشفنا من مناهله الصافية مياه الآداب السيحية والتقطنا من حديقته النضرة زهور التعاليم الكهنوتيّة مذ عام ١٨٩٠ الى ١٩٠٣ شئنا ان ننشر على صفحات المشرق الأغرّ طرفة من اخباره السالفة مسهبين الكلام في من أدّى له الخدم المشكورة وتهالك في سبيل نجاحه ولا سيّما الاخ رزق الله سفور قيّم الرزاقة والشمّاس يوسف تبّان وكيل ماديّاته فنقول:

أ وصف دير الشرفة وقاصده

الشرفة دير شهير ومعهد جليل للسريان الكاثوليك أنشأه السيّد اغناطيوس ميخائيل جروه البطريرك الانطاكي عام ١٧٨٥ في كسروان بلبنان ودُعي الشرفة لإشرافه على قريتي درعون وحريصا تحفّ به اشجار الصنوبر والسنديان والتوت ويطلّ على معبد قصادة سوريا الرسوليّة وعلى مقام سيّدة لبنان المشيد عام ١٩٠٨ وعلى دير مار يوسف الحرف لراهبات أسرة نطين وعلى مدرسة راهبات قلبي يسوع ومريم التي أنشئت سنة ١٩١٤ بمساعي السيّد فرديناند جيانيني القاصد الرسولي وعلى دير الآباء البولسيّين المرسلين الملكيّين الذي شاده سنة ١٩٠٣ السيّد جرمانوس معقد الطيّب الذكر

على ان البطريرك ميخائيل جروه المذكور في الخبر بعد ارتقائه الى السدّة البطريركية في دير الزعفران بماردين على جميع السريان اضطرّ ان ينهزم من وجه خصومه سنة ١٧٨٢ الى الموصل وبغداد ويجوب القفار والفلوات مصطبراً على الأتعاب والمشقّات فقطع تلك المسافة البعيدة بمخاوف شديدة واخطار جمّة عديدة متطياً ظهر بعير الى ان افضت به العناية الالهيّة بعد ١٥ يوماً الى قرية بيت شباب بلبنان ١) في سابع اذار ١٧٨٤ فنزل في دير مار انطونيوس النبع . ومـا مرَّ عليه ثمّ اربعة اشهر حتى اضطرّ الى ان يغادره ويسكن بيت احد الفلاحين فلحق به اذ ذاك صديقه الحميم السيّد ايوانيس نعمة الله الحدّي وكان قد اعتنق على يده الايمان الكاثوليكي في دير الزعفران سنة ١٧٨٢ فاستمرّ البطريرك والمطران والشماسان زكّريا القطربلي وتوما الآمدي في ذلك البيت الحقير يستعطون القوت اليومي ويرقدون على الحشيش من دون حصير ٢) الى كانون الاول ١٧٨٩ ولم يستحبّ البطريرك الذهاب الى دير مار افرام الرغم في الاشبانيّة ٣) اذ كان فيه وكيله المطران يوسف قدسي لان الله سبحانه أعدّه لعمل آخر اجلّ وافضل وهو تشييده ديراً للطائفة على اسم سيّدة النجاة في الشرفة

ذلك ان البطريرك ميخائيل المبروط غادر بيت شباب في اول كانون الاول ١٧٨٩ ويمّم الشرفة فاستأجر بعد ستّة ايام الحل بعشرين قرشاً في السنة وكتب صك الايجار وشهد فيه السيّد بولس اسطفان والقس جرجس رئيس دير الكريم للارمن والقس حنا والقس بولس والشيخ نوفل الخازن وانطون الحاج موسى . ولمّا كان ١٥

١) راجع مجلة المشرق (٣ : ٩١٢ – ٩٢٦)

٢) من رسالة البطريرك الى المجمع المقدّس بتاريخ ٢٦ ايار ١٧٨٦

٣) شُيّد دير مار افرام سنة ١٧٠٩ بمساعي السيّد اثناسيوس صفر العطّار مطران ماردين (+ ١٧٢٨) (راجع هذه المجلة ٩ : ٧٦٥) وعرفنا من رؤسائه السيّد غريغوريوس نعمة قدسي (+ ١٧٦٠) والسيّد ديونسيوس بشاره (+ ١٧٥٩) والسيّد غريغوريوس جرجس قتّال (+ ١٧٣٣) والسيّد غريغوريوس يوسف قدسي (+ ١٧٩٣) والخوري الياس ابرغان (سنة ١٧٧٨) وظلّ الدير مأهولاً بالرهبان حتى سنة ١٨٤١ فشنّ عليه الدروز وغيرهم واغتالوا السيّد كيرلّس يوسف حائك ونبشوا مدافن الاساقفة والكهنة واحرقوا رفاتهم وذرّوا الرماد في الهواء وفتكوا بالراهب مبارك قولية والاخ عبدالله والقوهم على صخور الوادي فاقفرت ساحاتها وخلت من ساكنيها

ايلول ١٧٨٦ عوّل البطريرك السعيد الذكر على شراء المحلّ مع ارزاقهِ وكان ذلك المحلّ عبارة عن بناء صغير وحرج وتوت وكرم وارض زرع (سليخ) فابتاعه من الشيخ ابي فارس انطون الحاج موسى الشليفي بمبلغ ٢٦٣٢ قرشاً واستحضر في ١٦ ايار ١٧٨٧ المعلّم حنا الدرزي والمعلّم سمعان شهوان وسعد ثابت العجلتوني والشدياق اسطفان فليفل الدرعوني فخمّنوا عليه المبلغ المذكور وايد البيع والشراء الامير يوسف الشهابي بشهادة السيّد يوسف تيان مطران دمشق والاب يوحنا رئيس الرهبان الارمن العام والقس جرجس الارمني والقس سمعان صائغ السرياني والشيخ تادرس سعد الخوري والشيخ نوفل الخازن وانطون جباره . ثمّ عرض البطريرك ميخائيل حجّة البيع والشراء على مقام البطريركيّة المارونيّة فأيدها السيّد يوسف بطرس اسطفان البطريرك الانطاكيّ والمطران يوسف نجيم والمطران يوحنا الحلو وجمهور راهبات دير العفن . وبحضورهم عفا الخوري صالح بن حصن الخازن من حقوق الشفعة

ولمّا تمّ ذلك كلّه طيّبًا لنية البطريرك المغبوط دعا المحلّ باسم سيّدة النجاة اقرارًا بفضلها لانها صحبته في الحلّ والترحال وانقذته من الشدائد والأهوال وبلّغته الى هذا المقام . وما زالت ايقونتها الكريمة التي كان يحملها اينما اتّجه مصونة حتى اليوم في ديره بالتجلّة والاكرام . ثم وقف الدير وأرزاقه وجميع امواله المنقولة وغير المنقولة لله تعالى وحتم ان يكون مقاماً لمن يخلفه من البطاركة على الطائفة السريانية الكاثوليكية وحرّج عليهم ان يبيعوا او يرهنوا او يهبوا شيئاً مما يخصّه . وتسلّم في ١٥ ايلول ١٧٨٦ من الشيخ ابي فارس جميع الحجج القديمة كحجّة امّ حصن الوجيهة الى الخوري يوسف مارون الدويهيّ والحجج التي كانت عند السيّد يوسف بطريرك الموارنة . وبعد ذلك كلّه كتب الى الحبر الاعظم مار بيوس السادس والى المجمع المقدس يخبرهما بالأمر ويتوسّل الى الحبر الروماني ان يزيد عمله فكتب اليه منشور التأييد واليك نصّه معرّباً :

البابا بيوس السادس للذكر المخلّد

ان اخوتنا الموقّرين كرادلة الكنيسة الرومانيّة المقدّسة المفوّض اليهم امر انتشار الايمان المقدس عرضوا علينا بواسطة ولدنا الحبيب المونسنيور اسطفان بورجيا كاتم الأسرار ان الاخ الجليل اغناطيوس ميخائيل جروه بطريرك السريان الانطاكي قد اشترى وامتلك في درعون بجبل

لبنان ديراً سمّاه دير سيدة النجاة واستحدث فيه أبنية وطلب ان يكون هو وجميع ملحقاته وقفاً دائماً ثابتاً له ولخلفائه البطاركة . والتمس من المجمع ان ينوب مناباه في التوسّل الينا لتؤيد ارادته بسلطاننا . فأما نحن فعلاوةً على مزيد اختبارنا إلّا لاقاء هذا البطريرك من الاضطهاد والشدائد في سبيل الايمان الكاثوليكي قد ازداد حبّنا له لسبب تُكرّمه وفضله هذا التقويّ وقبلنا توسّله بشاشة وترحاب وانا واثقون كلّ الثقة ان ذلك يحمله على اعتبار كثرة تعطّف الكرسيّ الرسوليّ عليه والتفاته اليه . ومن ثمّ فنحكم بقوّة اسطرنا ويراءاتنا هذه ونريد ونأمر بسلطاننا الرسوليّ ان يكون دير سيّدة النجاة المذكور مع جميع ما يملكه من الارزاق الآن وفي مستقبل الزمان وقفاً ثابتاً مؤبداً حسب نيّة البطريرك اغناطيوس ميخائيل وان يكون ذلك تحت تصرّفه وتصرّف البطاركة خلفائه . ونضيف الى ذلك انّا قد قبلناه وقبلناه تحت حماية كرسيّنا الرسوليّ وعصمة انشار الايمان . ونمنع بسلطاننا الرسوليّ كلّاً من كان من التعدّي عليه او التلاعب باملاكه او الاختصاص بشيء منه لذاته ونمنع المنع المطلق من بيع او هبة شيء منه ومن خالف أمرنا هذا سقط حالاً في الحرم المحفوظ حلّه لنا ولمن يخلفنا اذا كان المتعدّي في قيد الحياة

أُعطي في رومية بجانب مار بطرس تحت ختم الصياد ٢٢ ايار ١٧٨٧ وهي السنة الثالثة عشرة لحبريّتنا

+ الكردينال ولدس ريسكي دي ابرتسي

ولمّا تلقّى البطريرك منشور الأب الاقدس ازداد فرحاً وسروراً ونفى شيئاً من رزاياه فكتب الى الحبر الروماني في ٨ اذار ١٧٨٨ يشكر له تلطّفه وعطفه ويقول : « ان دير سيّدة النجاة يخصّ البطريرك الانطاكيّ السرياني الكاثوليكي دون غيره على شرط ان لا يبيع ولا يرهن ولا يهب شيئاً من ارزاقه بتّة . اما كهنة الدير وناذرو الفقر والطاعة لنا ولخلفائنا فلهم حقّ المعيشة والكسوة على البطريرك شرعاً وذمّة لان كلّاً منهم هو كجزء من جسد جميعه »

٢ افتتاح دير الشرفة

ومنذ إذ طفق البطريرك يراسل بلاد السريان كحلب وماردين والموصل وبغداد ودمشق والنبك في استحضار شبّان ليدرسوا عليه العلوم الكهنوتية . ورقّى في ٢٦ آذار ١٧٨٨ الشماس زكريا ابن الخوري اسحق الامدي الى الدرجة الكهنوتية وسمّاه يوسف ثم مطرّنه على ديار بكر في ٢١ تشرين الثاني ١٧٩٠ ودعاه يوليوس

انطون وجعله وكيلاً اي رئيساً على الدير واجتمع اليه مذ ذاك عدد من الطلبة ارتقى اغلبهم الى الدرجة الكهنوتية(١)

وفي هذا الدير عينه تخرّج البطريرك اغناطيوس ميخائيل ضاهر الحلبي (+ ٢٢ كانون الثاني ١٨٢٢) والبطريرك اغناطيوس بطرس جروه(+ ١٦ تشرين الاول ١٨٥١) والسادة كورتس انطون الدياربكري (+ ١٦ كانون الثاني ١٨٤١) واثناسيوس جبرائيل حمصي (+ تشرين الثاني ١٨٥٣) وكورتس يوسف حائك (+ ٢٨ شباط ١٨٦٣) وباسيليوس ميخائيل هدايا (+ ٥ كانون الثاني ١٨٣٧)

وبعد وفاة البطريرك ميخائيل مؤسس الدير المذكور في الخير تولّى رئاسته السيّد انطون الآمدي وكان يساعده في القاء الدروس على التلامذة القس بطرس جروه . وهما اللذان اوفدا القس توما المارديني الى حلب وما بين النهرين والعراق ليجمع الصدقات من المؤمنين لتشييد غُرَف لسكنى التلامذة . وقرأنا في رسالة اوفدها السيّد انطون الى القس المذكور في ٩ تموز ١٨١٢ يقول:

« اما بشأن العمار فنحن اليوم مشغولون ببناء الغرف وان شاء الله ينتهي في الشتاء ولا نقدر ان نكثّر العملة لضيق ذات يدنا »

وكتب ايضاً الى القس يوسف جبي بعصر في ٢ نيسان ١٨١٢ :

« انما ابتدأنا نشيّد الغرف فوق القبو لانه لا يوجد محل لسكنى التلامذة وقد اقترحنا ان نبني على شدّة حاجتنا وضيقتنا »

---

(١) وهذه اسماؤهم : الخوارنة انطون ندي الحلبي وشكرالله نوفل ورونائيل طعمرجي وشكرالله براغيث وروفائيل موسى وجبرائيل مريدار وميخائيل صائغ ثم القسوس توما الماردني ويوحنا حاقل ويوسف جبي والياس شدياق ويوسف سكّر وجرجس جروه وميخائيل توما التكي وبولس توما الموصلي وميخائيل جروه ويوسف طرنج وانطون بازجي وعبدالله حمصي ويوسف سوكي والقنداوس بشير وافرام مدالاتي ويوحنا اسلامبوليّة وفيلبس قزازه وحنا مزاز وتوما صباغ ولوقا حسن . فهولاء الكهنة اجمع تربّوا في دير الشرفة وفيه تلقّوا العلوم الكهنوتيّة منذ نشأته الى سنة ١٨٣٠ . ومن جملة تلامذة الشرفة الأوّلين ميخائيل دقاق شلحت وفتح الله الطونجي والياس يوسف شلال وانطون عرقنجي وبينا مبارككشاه ويوسف قسطلي وانطون عبد المطلي حمصي وميخائيل عركوس وذكريا سليمان الموصلي وجبرائيل اسلامبوليّة ومتى توما الموصلي ويوسف حنا سوكي وجرجس شمرقي وعبدالله كريشالي ويعقوب حبالك ونعمه ابن القس جرجس شدياق وبطرس زلّوعاهر وجرجس ومتري ولّدي ميخائيل ذيحا وموسى بن نعمه شيحا ومبارك بن يوسف رباط الخ

وخلف السيّد انطون في رئاسة الدير السيّد غريغوريوس بطرس جروه في ١٥ كانون الاول ١٨١٩ فانجز البناء ورمّم دير مار افرام الرغم وشاد فيه طابقاً ثانياً وتولّى بعده أمر دير الشرفة سنة ١٨٢٥ المطران جبرائيل أحمي ولكنه لم يكترث لأمور التلامذة فانهزم اغلبهم وظلّت الامور مبلبلة حتى عاد البطريرك بطرس جروه واستلم الرئاسة على الدير سنة ١٨٢٨ وأقام بعد ذلك الخوري جرجس صعب الحلبي رئيساً وتوجّه هو الى حلب

٣ المحسنون الى دير الشرفة

ولا بدّ لنا من ان نورد هنا اسماء بعض الذين أسعفوا دير الشرفة تخليداً لذكرهم مستمطرين غيث الرحمة الالهية على نفوسهم فنذكر اولاً بعد البطريرك ميخائيل والبطريرك بطرس ابن اخيه والشماس حنا شقيقه جلالة كرلس الرابع ملك اسبانيا وقرينته الفاضلة ماري لويز الكرّية والكونتسا ويلا دي هرموزا وغيرهم من الاسبانيين النبلاء الاسخياء الذين تبرّعوا على الدير باموال طائلة وأمتعة كثيرة قدّموها عن يد القس الياس دبّ الحلبي وكيل البطريرك ميخائيل في مدريد. ونضيف الى عدد هؤلاء الكرام السيّد ابوليس نعمة الله الصدّي (+ ٢١ ايار ١٨٢١) والبطريرك اغناطيوس سمعان زوره (+ ٢١ آب ١٨٣٦) والخوري الياس ابوخان والخوري روفائيل طنبرجي والخوري شكرالله برانيث والقس يوسف جبي وجرجس اجقم واسطفان شديا ق والحاجّة مريم قرينة فرج الله مباركشاه وجبرائيل اسطنبوليه وانطون الياس صراقيا

وقد اقتفى هؤلاء الافاضل الخوري ميخائيل الزرق والخوري يوحنا طرّاف والخوري بولس راشيه والقس فيلبس قرانه والسيّدة ابنة يوسف حلّاق الدمشقية. ونهج منهاجهم السيّد غريغوريوس متى نقشار (+ ٢٨ آذار ١٨٦٨) والبطريرك اغناطيوس جرجس شلحت (+ ٨ كانون الاول ١٨٩١) والسيّد اوسطاثيوس موسى سركيس (+ ٣٠ آب ١٩١٨) والخوري انطون قرواني الذي نُصب وكيلاً لارزاق الدير مذ عام ١٨٨٨ وتبرّع عليه بشيء من املاكه. وزد عليه أسرة الكونت نصرالله دي طرّازي ولاسيّما الكونت فيليب الذي اعتنى بنظم سجلّات الدير

وصنف كتاباً في اخباره سماه « التحفة في اخبار دير الشرفة »

٤ تحويل الدير الى مدرسة كهنوتية

صرف بطاركة السريان ورؤساء الشرفة النية الى تدريس التلامذة وتلقينهم العلوم والفضائل الراهنة مدة خمسة وخمسين عاماً واتت اتعابهم بيانع الثمار وقد اوردنا آنفاً اسماء الكهنة الذين خرجوا من هذا المعهد المبارك وخدموا النفوس في البلاد الشتى . ولما كانت سنة ١٨٤٢ رأى البطريرك انطاكيوس بطرس جروه ان يحوّل الدير الى مدرسة كهنوتية ينظر البطريرك في شؤونها وينصب لها رؤساء يصرفون المساعي في نجاح تلامذتها . فكتب الى البابا غريغوريوس السادس عشر الحبر الروماني يكاشفه بما في نيّته فاستحسن الحبر الاعظم رأيه وكتب منشوراً بتاريخ ١٠ ايلول ١٨٤٢ يؤيد طلبهُ وسمَّى الخوري جرجس شلحت تلميذ الپروپغندا رئيساً للمدرسة . واقيم الخوري ميخائيل ازرق الحلبي مساعداً للرئيس وراعياً للتلاميذ . وفي سلخ آب ١٨٤٥ رقي الخوري جرجس الى اسقفية طرابلس وسمّي اقليميس بولس وظلّ يسوس المدرسة ويديرها بالحزم والغيرة الى ان اسلم الروح في ميروبا في ١٧ آب ١٨٤٩ وهو الذي استقدم الى المدرسة في ١٠ نيسان ١٨٤٩ الاب بونيفاتيوس سورانيا اليسوعي ليساعدهُ في تدريب الطلبة على الفضيلة وتثقيفهم في العلوم الدينيّة والمعارف الكهنوتيّة وشاد الغرف في شرقي المدرسة واتخذها بعده الخوري ميخائيل ازرق سنة ١٨٥٠ وهو الذي خلفه في الرئاسة الى سنة ١٨٧٩ اعني مدّة ثلاثين سنة ولم يدّخر وسعاً اثناء ذلك في توسيع نطاق ارزاقها وتحسين املاكها وتنظيم قوانينها واصلاح شؤونها وزاد على ذلك كله انه وقف عليها جميع ما ملكته يده وقد عرف البطاركة ولاسيا البطريرك فيلبس عركوس لهذا الرئيس النبيل فضله وتعبه وقدروا له غيرته وكدّه وعرضوا غير مرّة ان يرقّوه الى الدرجة الاسقفيّة كما له فأبى كل الاباء واخيراً انعموا عليه بلبس التاج والخاتم والصليب مكافأة لأعماله الصالحة ورقد بالرب في ١٣ تشرين الثاني ١٨٨٦

وخلف الخوري ميخائيل ازرق الخوري يوسف معمارباشي الماردينيّ في ٢٦ حزيران ١٨٧٩ وفي ٨ نيسان ١٨٨٠ أوعز اليه البطريرك جرجس شلحت ان يتوجه الى رومة

واسبانيا واميركا ليجمع الحسنات في سبيل تشييد دير مار افرام بماردين وانجاز بناء كنيسة الشرفة الحديثة ١) ففوّض الخوري يوسف تدبير التلاميذ الى الخوري افرام ايض الحلبي الراهب الافرامي حتى ٢٨ ايلول ١٨٨٢ فعاد واستلم ازمّة رئاستها الى ١٠ نيسان ١٨٨٣ ثم سافر الى ماردين وناب منابهُ القس موسى سركيس الدمشقي الى عاشر تشرين الثاني ١٨٨٣ فكرّ راجعاً الى المدرسة وظلّ يديرها الى ٢٣ آب ١٨٨٤ فاوفده البطريرك الى البلبك وجعل مكانه سنة ١٨٨٥ الخوري باسيل قندلفت الحلبي فثلج الخوري يوسف وعاد الى وطنه وتوفّي فيه ليلة عيد الصعود سنة ١٨٠٦

وبعد الخوري باسيل تولّى شؤون المدرسة الخوري بطرس يونيك الارديني منذ ٢٨ تشرين الثاني ١٨٨٦ الى ٦ تشرين الاوّل ١٨٨٧ وخلفه الخوري باسيل قندلفت ثانيةً حتى سنة ١٨٨٨ فولي مكانه الخوري موسى سركيس حينما انعقد المجمع الآتي المعروف بمجمع الشرفة وكان افتتاحه في ٢٢ تموز واختتامه في ١٣ تشرين الاوّل ١٨٨٨ وترأسه السيّد لودوفيكو ياقي نيابةً عن الحبر الروماني وكان السيّد غودنسيو بتقيلي والخوري بولس عوّاد بنائبةلاهوتيّين ٢) وغدا هذا المجمع الشهير دستوراً للطائفة ولكنه لم ينشر بالطبع بعدُ الاّ باللغة اللاتينيّة فقط . وزاول الخوري موسى تدبير المدرسة الى ٢٧ كانون الاوّل ١٨٩٣ وهو الذي ابتنى ردهة الاستقبال والنام

وتولّى الرئاسة بعده السيّد يوليوس باسيل قندلفت بعد ما رقاه شقيقه السيّد ثيوفيلس انطون الى مطرانيّة يافا بتفويض من لدن السيّد البطريرك انطاكيوس بهنام بنّي في ٢١ كانون الاوّل ١٨٩٣ ونصبه البطريرك رئيساً للمدرسة بعد الرسامة بايّام ثلاثة

وخلفه الخوري بولس هبرا الدمشقي في ١٠ شباط ١٨٩٥ وظلّ يسهر على صوالح المدرسة ويبذل المساعي في تدبير امورها وتحسين شؤونها المادّية والعلميّة حتى ٣٦

1) وضع الحجر الاوّل لكنيسة الشرفة في ١٦ آب ١٨٧٦ وعقد سقفها سنة ١٨٧٧ وتجز ازها في ١٦ آب ١٨٨٢

٢) كان آباء المجمع غبطة البطريرك جرجس شلحت والسادة قرلس بهنام بنّي مطران الموصل واثناسيوس روفائيل جرجي مطران بغداد واقليميس يوسف داود مطران دمشق ويعقوب متى احمر دقنه اسقف نصيبين والجزيرة وثيوفيلس انطون قندلفت اسقف طرابلس وديوسقوروس افرام رحماني اسقف الرها وماروثا بطرس هربال اسقف ديار بكر

كانون الثاني ١٩٠٢ فنُصِب مطراناً لابرشيَّة الموصل وتولَّى نيابة الرئاسة من بعده القس موسى دلّال الدمشقي الى ايلول ١٩٠٣ فخلفه الخوري موسى سركيس وثابر يخدم المدرسة بكل جد واجتهاد حتى ٢٤ تشرين الثاني فسُقِف على الرسغ باسم اوسطاثيوس موسى وجُعل نائباً بطريركيّاً على حمص وحماة وتوابعها. ورُقِّيَ معهُ الى مطرانيَّة بغداد سالفهُ في رئاسة المدرسة القس موسى دلّال ودُعي السيد اثناسيوس جرجس وهو الذي وجه عنايته خاصة الى ابتناء الطابق الثالث على طرز حديث

وفوضت رئاسة مدرسة الشرفة بعد ذلك الى حضرة الخوري فسقفوس افرام جيتاري في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٢ وهو الرئيس الحالي

ومذ سنة ١٨٦٢ الى يومنا تخرَّج في هذه المدرسة البطريرك اغناطيوس فيلبس عركوس (✝ ٧ اذار ١٨٧٤) والسادة فيلبس بطرس متّاح (✝ ١٦ حزيران ١٨٧٤) وماروثا بطرس طوبال (✝ ١٩١٥) واثناسيوس رافائيل جرخي (✝ ٢٩ نيسان ١٨٩٠) ويعقوب متى احمر دقنه (✝ ١ نيسان ١٩٠٨) وثيوفيلس انطون قندلفت (٥ آب ١٨٩٨) وقورلس بولس دانيال (✝ ١٢ تشرين الثاني ١٩١٦) وغريغوريوس جرجس شاهين (تطرن في ١٩ ايار ١٨٧٢) واثناسيوس اغناطيوس نوري (١٦ حزيران ١٨٩٥) وفيلبس ميخائيل ملكي مطران الجزيرة الذي قتل شهيداً في ٢٣ آب ١٩١٥ (القصارى في نكبات النصارى ص ٣٨٤)

وفي هذه المدرسة درس زمناً وجيزاً السيد اقليميس يوحنا معسهد باشي تلميذ اليسوعيين بغزير (✝ ٢١ ايار ١٩١٦) والسيد اقليميس ميخائيل نجاش تلميذ بروبغندا والسيد اوسطاثيوس موسى سركيس تلميذ اليسوعيين بغزير والسيد غريغوريوس حبرا والسيد اثناسيوس جرجس دلّال تلميذ البروبغندا . وتندمج في سلك هؤلاء اسماء بعض كهنة الشرفة الذين قُتلوا في سبيل الايمان القدس كالخوري فسقفوس رافائيل بردعاني تلميذ البروبغندا ثم خريزو والقسوس يوحنا بناييلي ومتى ملاش وتوما مرجان وملكي شمعون وبهنام خزيه والراهب افرام الرهاوي . ومنهم من نكّل بهم اعداء الدين وأثخنوا فيهم ولكن الله تعالى انقذهم من الموت الاحمر كالقس متى خريزو الماردِيني والقس يوسف ربّاني الموصلي [القصارى في نكبات النصارى ص ٢٠٧—٢٢٥]

٥ الاخوة الافرميون في الشرفة

ما اكتفت الشرفة بتثقيف ساقفة وكهنة لرعاية النفوس وخدمتها بل فتحت احضانها لقبول زمرة من الشبان المنضوين الى اخوة مار افرام ولاسيما بعد حريق دير الزعفران وخرابه كما قدمنا. على ان آباءنا البطاركة احتراماً لنية البطريرك ميخائيل المطوّب الذكر راموا ان يجدّدوا تلك الاخوية في دير الشرفة فأضحت الشرفة والحالة هذه ديراً ومدرسة معاً. واول من جدّد الاخويّة في الشرفة كان البطريرك انطاطيوس جرجس شلحت في غرّة تشرين الاول ١٨٧٦ وكان اول من نذر الفقر والعفّة والطاعة الخوري افرام ابيض الحلبي واقتص آثاره السيد القليمي ميخائيل نجاش والسيد غريغوريوس بطرس هبرا وجملة من الكهنة(١ وأضاف البطريرك المغبوط الى ذلك انه انشأ في ماردين سنة ١٨٨١ ديراً جليلاً جعله المركز الاول لهذه الاخويّة وقد نشرنا على صفحات المشرق [١٢ : ٧٦٠] تاريخ ذلك الدير سنة ١٩٠٩ وخرج منه كهنة غُيُر خدموا الطائفة في بلاد ما بين النهرين وسوريا وقُتل منهم نفر سنة ١٩١٥ الدمويّة في سبيل الديانة المسيحيّة كالقسوس بطرس حمّال في مديات وبولس قسطن في الجزيرة وافرام القصوراني في سعرت وابرهيم كرّوم في ديركه وملكي شمعون في باته ويوسف معمار باشي في ماردين وبولس هيسو في قلث(٢

امّا الاخوة الافرميون الذين خدموا الشرفة بأتعابهم وأموالهم وأولوها الفوائد الروحيّة والزمنية بمالهم ومشآتهم ووقفوا نفوسهم على خدمة سيّدة النجاة اجمعهم فنذكر في مقدّمتهم القدسي ميخائيل قثاف الحلبي الذي يمّم هذا المعهد المقدّس عام ١٨٤٢ ودفع الى رئيسه الخوري جرجس صعب عشرة آلاف غرش فاشترى بها الخوري ميخائيل الازرق ساقية ناعورة في جونيه وقطعتي ارض مغروستين توتاً في ظهر حريصا وقطعة ارض اخرى في ميروبا. وبعد اثنتي عشرة سنة اودى ميخائيل وصيّته الاخيرة

---

١) منهم الخوراسقفيوسف شلحت وحنا حمي وميخائيل دلال الحلبي والقسوس بولس سبانخ الحلبي وبطرس صليو الماردي وبولس صعب الحلبي وبطرس ابن الشماس عازر وحنا زكّور وبطرس عبد الاحد وافرام حنوش والياس مصري

٢) راجع كتاب النصارى في نكبات النصارى ترى تراجم هؤلاء الكهنة وتفاصيل استشهادهم

وفوض الى الخوري ميخائيل ازرق ان ينفذها بعد موته فأوفدها الرئيس الى البطريرك انطون سمعان فأيدها وكتب الى القدس ميخائيل يثني على اريحيته ويستمطر عليه غيوث البركة ويسأل له الثواب والأجر في الدارين . وواصل الاخ ميخائيل شغله بالجدّ والنشاط حتى اخترمته المنية ثاني حزيران ١٨٦٢ . وتولى بعده الوكالة على ارزاق الشرفة الاخ رزق الله سفور الحلبيّ الذي رمنا ان ننشر على صفحات المشرق ترجمة حياته وحياة زميله الشماس يوسف تبان اظهاراً لفضلهما وتخليداً لذكرهما وتشجيعاً لمن ينهج مناهجهما في خدمة سيدة النجاة عليها اشرف السلام

٦ الاخ رزق الله سفور الحلبي

هو رزق الله بن توما بن يوسف سفور الحلبيّ واتى الى الشرفة عام ١٨٦٥ لينقطع الى عبادة الله جلّ وعلا ويخدم سيدة النجاة قدر طاقته فآنس منه الخوري ميخائيل ازرق رئيس المدرسة علائم الجدّ والنشاط وفوّض اليه بادئ بدء القيام بأمر بيت المؤنة فمارس الخدمة على احسن مرام. وكان بمثله الصالح وطاعته التامّة خير قدوة لسكان الدير اجمع ولمّا تحقّق البطريرك فيلبس عركوس كتب الى رئيس الدير في ١٦ اذار ١٨٦٧ يمدح سيرة الاخ رزق الله ويثني على أتعابه ويوعز الى الرئيس ان يلقّنه العلوم الكهنوتيّة حتى اذا ما اتى عليها وأتقنها رقّاه الى الدرجة المقدسة . غير ان الاخ رزق الله آثر البقاء على ما كان عليه وأحبّ ان يخدم الدير وارزاقه مدّة عمره فواصل عمله ذلك اثنتي عشرة سنة . وفي ١٤ كانون الثاني ١٨٧٧ نذر النذور الثلاثة امام السيد البطريرك جرجس شلبي الاسكندر الرهباني ثم رسمه مرتّلاً في غرّة سنة ١٨٧٨ وقارئاً في ٩ اذار ١٨٧٨ وفي ٢٦ تشرين الاول ١٨٧٩ رقاه السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق الى الدرجة الافوذياقونيّة

ومذ ذاك تفرّغ الاخ رزق الله لخدمة الوقف متهالكاً على صيانته متفانياً في نموه وترقيته حريصاً على غلاله فكنت تراه كصانيل [٢ ملوك ٢ : ١٨] يطوف من قرية الى قرية صيفاً وشتاء غير مبالٍ بالمشقّة والتعب يجدّد ويرمّم ويبني ويغرس ويزرع في قرى لبنان كزرعة كفرذبيان والجرد وميروبا ومراح شدّاد وبقعاتا وزعشين ودرعون وبطحا وحريت اوساحل علما وجونيه وبرج البراجنة والاشرفية

وزحلة وسائر الاماكن التي تختصّ وقفاً للدير حتى تيسّر له بعد جمع المال ومشترى النفس ان يزيد الاوقاف نموّاً ويحسنها تحسيناً بيّناً . وكان لمزيد غيرته على دير السيدة لا يعتني بأمر نفسه فكان يتقلّل من الدنيا ما يقدر ويتجافى ما يستطيع

فلمّا رأى الرؤساء منه ذلك عرفوا له حقّه وقدّروا فضله وتعبه قدره وأسبغوا عليه الأثنية الطيّبة وجعلوا يُخلدون الى رأيه في ما ينوط بالوقف من شراء وبناء وتجديد وتوسيع وعلم جرّاً حتى ان غبطة البطريرك انطاكيوس افرام رحماني أوفده عام ١٩٠٢ الى القدس الشريف ليتولّى القيام بتشييد المعهد الجديد للطائفة قرب باب العمود فأدّى تلك الخدمة أحسن تأدية وكان حين الفراغ من العمل يزور الاماكن المقدسة ويختلف الى الجسمانية ويجلس فوق وادي يوشافاط يتأمل الديونة العامة ويذرف الدمع طالباً مغفرة اوزاره من الرب يسوع

وهو الذي تولّى بناء كنيسة راهبات قلبي يسوع ومريم في مزرعة كفرذبيان . ومما جاء عنه انه عند عقد الكنيسة هطلت الامطار بشدة فكاد يتضعضع البناء فحار الاخ رزق الله في امره وراح من فوره فحمل شخص مار يوسف ووضعه تحت المطر وقال له بسذاجة مسيحية : لست ارفعك من هنا او ينقطع المطر وما مرّ الّا القليل حتى انحبس المطر فاستأنف العملة عملهم

ومما رفع شأن الاخ رزق الله وأحيا له الذكر الجميل انه أنفق مبلغاً وافراً من ماله وحلاله على ارزاق الدير واشترى من كيسه كرماً في وطا اللوز سنة ١٨٨٨ وقفه على الدير . وفي ١٨ ايار ١٨٩١ كتب البطريرك جرجس شلحت المثبوط الى الخوري موسى سركيس رئيس الدرسة ان يتخلّى للاخ رزق الله عن قطعة ارض في حي البنا بجونيه ليشيّد فيها ما يشاء من البناء فابتنى الاخ رزق الله من جيبه ثلاثة مخازن ودارًا كبيرة وتعـ[illegible]ـريعها بإذن السيد البطريرك على ان يزيد الوقف تحسيناً . ولمّا نجز البناء [illegible] سبّلة على الدير عن نفسه ونفس والديه وسجّل وقفه في محكمة جونيه [illegible]ريخ ٢٠ شباط ١٩١٥ فبارك السيد انطاكيوس افرام رحماني على تعب الاخ رزق الله وأيّد عمله وجدّد ما قرره سالفه البطريرك جرجس الذي حتم ان يقدّس كل سنة عشرون قدّاساً في الدير عن نفس الواقف ونفس والديه ما دام الدير باقياً . واضاف الى ذلك انه رسم ان يُقام كلّ سنة ليلة عيد التجلي جنّاز وقدّاس عن نفس

التبرّع ونفس والديه . وسنة ١٩١٥ وهب الاخ رزق‌الله الدير عشرة آلاف غرش وتفرّغ منذ ذاك للتأهّب الى الرحيل الى دار البقاء

وامتاز هذا الاخ الغيور بحميد الخصال وطيب الخلال ولاسيما رسوخه في الايمان القويم واجلاله للاسرار الرهيبة واحترامه للطقوس البيعية واعتباره لعادات الكنيسة المقدسة واستحصل له الخوري ميخائيل ازرق الإنعام من المجمع المقدّس بان ينتظم ذخيرة عود الصليب الكريم وذخائر اولياء الله القديسين ويعرضها للاكرام والبركة

وكان يدمن الصلوات اينما حلّ ويتلو فروضه في وقتها لا يعجّلها ولا يؤجّلها . وكان يجتمع بالفَعَلة الذين يستخدمهم كلّ يوم قبل الغروب وخصوصاً في شهر ايار المبارك فيقرأ عليهم التأمل ويتلو معهم السبحة الورديّة ويباركهم بصورة العذراء. وكان يدفع لهم الاجرة تماماً بل كان يسلّف المحتاجين منهم بعض الدراهم وكان ينفر ممّن يكذب او يموّه على الحقيقة ولم يعوّد لسانه في جميع معاطاته الّا الصدق والصراحة ممّا يقرّ له بذلك كلّ من عاشره

امّا حبّه للقريب فكان جزيلاً جداً فانه لمّا كان يرى فقيراً عضّه الدهر بنابه كان يبذل له المساعدة عن نفس طيبة ومحبة خالصة . وورد عنه انه حرّض الفتاة اليصابات بنت قطون الحاج في مزرعة كفرديان لتنضمّ الى زمرة راهبات قلبي يسوع ومريم واتّفق مع الاخ باسيل تامر ١) رفيقه في خدمة الارزاق ودفع لها كلّ منهما مبلغاً تجهّزت به الفتاة المذكورة ودخلت الدير . وكان اذا شاهد احداً في دقعاء الفاقة أغاثه قدر طاقته ونفّس عنه كربته ونصح له ان يصطبر على آفات الدهر ومشقاته ريثما يأتيه الفرج من لدنه تعالى . وكان رحمه الله يقترض الفقير البائس او يستغني عن شيء من اكله ليجود به على الجائع . وقد لاحت فيه هذه الميزة خاصة اثناء الحرب الشعواء فانه تلطّف بالمحتاجين وشغّلهم بغية ان يسوق لهم الرزق ويزيل عنهم الضنك وكان يتعهّد المرضى منهم حاملاً ما يفتقرون اليه

هذا ما عدا انه كان قدوة الفضيلة ومرآة الكمال لتلامذة المدرسة فكان يعزّهم ويودّهم جداً ويغار على تقدّمهم ونجاحهم وينفق عليهم شيئاً من جيبه ليحثّهم

١) هو باسيل بن الياس تامر الحلبي دخل دير الشرفة في ٩ نيسان ١٨٩١ ونذر نذور الرهبنة في ٣ تشرين الاول ١٨٩٢ وهو وكيل ارزاق الدير في يومنا

في مواصلة دروسهم ويحبّب اليهم الدعوة الكهنوتية . ولمّا شعر بان أهلهُ في حلب متحفّزون لرفع الدعاوي في الحاكم للحصول على ما كسبهُ بعرق جبينهِ استأذن الرؤساء وسافر الى وطنهِ واشترى دارين جعلهما داراً واحدة جدّدها وحبسها لاولاد باسيل ابن اخيه ويوسف حفيدهِ ولاولادهما وسجّل الوقف في محكمة حلب بتاريخ ٢٦ شعبان ١٣٢٧ — ١٩٠٩ . وجاء في نصّ الوقف ان الورثة اذا انقرضوا باجمعهم تعدو تلك الدار وقفاً للفقراء القاطنين في دير الشرفة وتكون التولية عليها لبطريك

هذا قليل من كثير من ميزات هذا العامل النشيط ومزاياهُ وخدمهِ ومما يرح الاخ رزق الله مثابراً على الاعمال الصالحة حتى سنة ١٩١٨ فأحسّ بقرب اقبال الآخرة اليهِ وجعل يعدّ نفسه للرحيل والمثول بين يدي خالقهِ وفاديهِ المكافئ عبيدهُ الامناء بأفضل الاجر والجزاء . وفي ١٠ ايلول لزم الفراش اسبوعاً كاملاً صابراً على مضض الوجع وفي ٢٣ ايلول طلب سرّ الصحة وأقرّ بخطاياه وتناول الزاد الاخير . وكان اثناء ذلك يعمّر قلبهُ بذكر الله تعالى ويكثر من تلاوة هذه العبارة « لمجدك يا يسوع » وظلّ على تلك الحال الى صباح ٢٥ ايلول ١٩١٨ فلفظ روحهُ مستودعاً نفسهُ ليسوع ومريم ومار يوسف . واقيم المأتم حافلاً في الشرفة حضره جملة من الخوارنة والكهنة والرهبان والاهالي وأبّنهُ حضرة الخوري بولس قشول المرسل الكريمي . فهكذا قضى الاخ رزق الله حياتهُ في سبيل الله وعاش عيشة الابرار والزهّاد ورقد بشيخوخة مباركة في السن السابعة والثمانين من عمرهِ صرف منها ثلاثاً وخمسين في خدمة دير سيدة النجاة ومضى لينال الأجر والمكافأة المعدّة للأكرة الصالحين والعملة الناجحين الفلاحين

٧ الشماس يوسف تباته الحلبي

وُلد الشماس يوسف بن انطون بن ميخائيل بن جرجس تباته في حلب سنة ١٨٤٣ ولمّا بلغ السنة الرابعة والثلاثين من عمرهِ وافى دير الشرفة وتفيأ بظلّ سيدة النجاة الوارف وقصد الانخراط في سلك الاخوية الافرامية فنذر النذور الثلاثة في ١١ كانون الثاني ١٨٧٧ ووشحهُ البطريرك جرجس بالثوب الرهباني ثم رسمهُ مرتلاً وقارئاً مع رفيقهِ الاخ رزق الله السابق الذكر وارتقى معهُ ايضاً الى الدرجة الهفوذياقونية

ومذ ذاك وقف الشماس يوسف حياته على عبادة الله تعالى وخدمة العذراء . وعهد اليه الرؤساء الوكالة على ماديات الدير كإعداد الطعام وتهيئة الكسوة وعيادة المرضى وقبول الزائرين فكان مثله مثل سميه يوسف بن يعقوب الذي صار وكيلاً على بيت فرعون ووزع القوت والغلال على المعوزين اثناء المجاعة [تك ٤١]

وفي ٢٤ تشرين الاول ١٨٨٦ رقاه السيد ثاوفيلس انطون فتقدم الى الدرجة الدياكونية باذن السيد البطريرك وعوّل السيد يوليوس باسيل فتمنّى ان يرقّيه الى الدرجة الكهنوتية فكتب في ذلك الى غبطة البطريرك بهنام بني في ٣ شباط ١٨٩٤ فورده الجواب بالايجاب في ١١ حزيران ١٨٩٣ نظراً لكفاءة الشماس وجدارته ومجازاة لتعبه وخدمته . بيد انه رحمه الله أبى الا البقاء على حالة اسوة بابينا الجليل مار افرام شماس كنيسة الرها متخذاً ذلك وسيلة لزيادة أجره وثوابه متخوفاً من حمل عبء الكهنوت الباهظ فاضطر الرئيس ان يجيب الى طلبه مقرّظاً تقواه مثنياً على فضيلته وظل الشماس مثابراً على عمله بجدٍ لا يعرف الكلل . ولما اجتمع الاباء في الشرفة وعقدوا المجمع الملي سنة ١٨٨٨ اصطفوه ساعياً يبلغ الأوامر ويوصل الاخبار الى اصحابها فقام الشماس بتلك المهمة خير القيام

واتصف الشماس يوسف بالخصال الحسنة ولاسيما الطاعة التامة للرؤساء فكان لا يتقدم ولا يحجم الا باذنهم ومشورتهم وامتاز بالنصح والصدق في خدمته وكنت تراه على كثرة شغله طلق المحيا باشاً لكل من يقصده في مسألة من المسائل . وكان يدمن التقرب من الاسرار الالهية ويطالع في وقت الفراغ الاسفار المقدسة والكتب الروحية ويتلو صلواته الخصوصية في اوقاتها وكان مغرماً بحب القربان الاقدس فكان يقضي الساعات الطوال امامه ويناجيه مناجاة الصديق لصديقه ويكشف له سرائر قلبه

اما عبادته لسيدة النجاة صاحبة المقام فكانت عجيبة فانه في شتاء سنة ١٩١٣ لما امتحنه الله بعقلة في لسانه قصد تلك الام الرؤوم الشفوق واستعان بها وصلّى تساعيتها المعروفة بتساعية بومبي وما كاد يأتي عليها بكلّها الا وانطلق لسانه فترنم بمديح ام الرحمة ونشر محاسنها واذاعها بين الناس وقصّ على سكان الدير فضلها ومنّها عليه بالشفاء . وكان كلفاً بحب وردتها وثوبها ولذلك فقد اشترك في جميع اخوياتها وحثّ الناس على التعبد لها

وخُصَّ الشماس يوسف بالذكاء والنباهة فاجتذب اليه قلوب المجاورين للدير فصاروا يختلفون اليه ذات المرار ويستشيرونه في امورهم فكان يريهم الطريق السويّ ويبلّغهم غايتهم وما برحوا حتى اليوم يلهجون بفضله ويثنون على حبه لهم وتفانيه في صلاحهم . وكان الشماس يزاول كتب الطبّ فاستحصل منها شيئاً وطفق يشتري بعض الادوية والمراهم ويتبرّع بها على من يقصدهُ من المرضى والسقام دون عوض قاصداً في ذلك وجه الله الكريم . وناهيك انه كان للتلامذة بمثابة امّ شفوق تحنّ الى اولادها وتعتني في تدبيرهم وتسري عنهم جميع همومهم وكان اذا وعك احدهم تعهّده من قوده ووصف له دواء ملائماً لمرضه حتى انه لم يمت احد منهم في ايامه باذن الله تعالى

وأضف الى ذلك ان الشماس يوسف بخدمته بيت المؤنة مدةً ستّ وثلاثين سنة لم يثلم الامانة ابداً بل كان حفيظاً بما استودع اليه مؤثراً الاقتصاد على الاسراف معتبراً دقائق الامور كجليلها وصغيرها ككبيرها وكان يقول مراراً شتى : ما دمت وكيلاً يلزمني ان اقوم بفروض وكالتي والّا فالأولى ان استعفي . واتصف الشماس بعذوبة حديثه ولطف معاشرته ولاسيّما بتسلية المصابين بالرض . ومما نُقل عنه ان السيد اقليميس يوسف داود يوم حضر الى الشرفة سنة ١٨٨٩ استجماماً لقواه المتضعفة وتبديلاً للهواء ألفى في الشماس يوسف احسن مسلٍّ واكبر معزٍّ له في كربه فكان يستدعيه اليه وهو على فراش المرض ويصغو الى حديثه بكل لذة فينسى آلامهُ

وفي ٢٠ نيسان ١٩١٠ كتب الشماس يوسف وصيّته الاخيرة وجاد بما كان يملكه على الدير الذي خدمهُ خدمة نصوحاً . ومما جاء في تلك الوصيّة استغفاره من سكّان الدير أجمع والتماسهُ من غبطة السيد البطريرك ان يبلغ الامر الى رئيس المدرسة والتلامذة ليحاولوا عليه خدمة التجنيز الديلاقونيّين يوم رقاده واليوم الثالث والسابع والشهر والاسبوع الكهنة وعيد سنيّة مار يوسف بقدس عن نفسه كل سنة قداس مؤبد في الاسبوع الذي يقع فيه عيد مار يوسف . فأيد السيد البطريرك وصيّته هذه وشهد فيها السادة اقليميس ميخائيل نجار وغريغوريوس بطرس هبرا ويوليوس باسيل قندلفت

وواصل الشماس خدمته حتى استكمل ايامه . وعام ١٩١٣ ازداد ضعف بنيته واضطرَّ ان يعتزل مهنته ويستريح من تعبه فاقام الخوري القرام حيقاري رئيس المدرسة الاخ باسيل ناعم مقامهُ وتفرّغ الشماس منذ ذلك للتأهب الى الرحيل من الدنيا الفانية الى الحياة الباقية . وفي ١٦ كانون الاول ١٩١٥ فلج فلزم الفراش مسلّماً امره الى الله ربّهِ ولم يقعد بهِ المرض من مواصلة اعمالهِ الروحيَّة وتقرّبهِ من الاسرار الالهيَّة . واشتدَّت عليه وطأة الفالج ليلة عيد الميلاد سنة ١٩١٥ فطلب سر المسحة واعترف وتناول . واقام الاب الرئيس الشاب منصور سلهب ليخدمه ويقوم بلوازمهِ وحاجاتهِ . فكان يقرأ عليهِ فصولاً من الكتاب المقدَّس او من احد الكتب الروحيَّة مثل كتاب الاستعداد للموت وما شاكلهُ . وكان الشماس يصغي اليه بكلّ عذوبة وشوق ويستزيده القراءة راغباً اليه ان لا يحرمهُ لذَّة سماع كلام الله معتبراً ان تلك القراءة تحيي قلبه وتنعش ايمانه ورجاءه وتثير فيه لواعج الوجد والارتياح الى مشاهدة فاديه وتسعِّره على مكاره الدنيا وخطوبها حبّاً له

ولزم الشماس فراش المرض عشرة اشهر محتملاً مضض الالم موجهاً الحاظه الى الاله الذي تعذّب لاجل فدائنا متوسّلاً اليه ان يجعل اوجاعهُ كفّارةً عن خطاياهُ . وفي تشرين الاول ١٩١٦ انحطّت قوّته فأيقن بدنوّ الاجل فزاد في الصلوات والابتهالات استرضاء لله جلّ شأنهُ وكان يستشفع مريم امه والقديس يوسف سيِّد لمساعدةً رقت توبه ويدفعا عنه هجمات خصمه . ولبث كذلك حتى ١٣ تشرين الاول ١٩١٦ فرقد رقاد الابرار مزوَّداً بالاسرار وله من العمر اربع وسبعون سنة . وصباح الغد رأس الصلاة عن نفسهِ السيِّد اوسطاثيوس موسى سركيس الذي وافى راجلاً من جونيه الى المدرسة على ما كان عليه من التقدّم في السنّ وانحراف الصحة اظهاراً لجزيل حبّه للفقيد واشترك معه في الصلاة رؤساء الأديار المجاورة والكهنة والرهبان والوجهاء والعوام وأبّنه القسّ جبرائيل بجّاش احد معلّمي المدرسة

فهكذا قضى الشماس يوسف حياته مؤدّياً الأمانة لدير السيِّدة العذراء ومُخلصاً الطاعة للرؤساء ومخلصاً للتلامذة والجميع من عرفه أجل تذكار فنال من الثناء أعذبه ومن الشكر أطيبه . اي ولعمري ذهب الاكار الصالح ولم تذهب آثاره . وغابت صورته ولم تغب محاسنه امتع الله روحه في جنّاته وأجزل له الأجر على حسناته

شذرات تاريخية من صحائف منسيّة

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

وصف جناب المعاني الاديب جرجي بك صفا في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٤٤٣-٤٤٥) بين مخطوطات مكتبته تاريخاً قديماً يرتقي عهده الى زمن مؤلفه في اواخر القرن الثالث عشر للمسيح او اوائل الرابع عشر والترجيح انّه من خطّه وعليه كتابة تشهد انّ الملك الظاهر بيبرس ابن ايبك طالع فيه. وقد نشر جنابه ثبتاً بعض قطع منه. على انّ هذا الكتاب كثير الشذرات التاريخيّة التي لم نجد بعضها في غيره. فأحببنا ان نقتطف منه ما رأيناه جديراً بالاخبار ممّا ورد هنالك بين سنتي الاوّل ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) والآخرة ٦٩٨ هـ (١٢٩٩ م). والكتاب اليوم في يد الوجيه المفضال احمد باشا تيمور نشير الى صفحاته بالرقوم الافرنجيّة ... حُكي

﴿ السنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م ﴾ (٢ و) قال: في غرّة المحرَّم جلس محيي الدين ابو عبد الله بن فضلان في ديوان الجوالي ولستوفي الجزية من اهل الذمّة فكان احدهم يقف بين يديه الى ان توزن جزيته ويُكتب له رُوزٌ وهو صاغر. فلقوا من ذلك شدّةً وكان ابو علي بن المسيحي رئيس الطبّ له اختصاص ودخول الى دار الخليفة فأظهر المرض واعتذر وسأل ان تؤخذ جزيته من يد ولده فلم يُقبَل منه فحضر وادّاها. ومضى ابن الشريح رأس مثيبة اليهود الى داره ليلاً وسأله ان يأخذ الجزية منه فلم يلتفت اليه وقال (٢ و) له: لا بُدّ ان تحضر نهاراً الى الديوان وتؤدّيها. وشدّد في ذلك ولم يسامح احداً

﴿ السنة ٦٣١ هـ = ١٢٣٣ م ﴾ (٤ و) وفيها توفي ابو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان. حُكي عنه (١) انّه كتب الى الخليفة الناصر لدين الله لمّا كان يتولّى ديوان الجوالي رقعةً طويلة يقول فيها: «مذهب الشافعي رضي الله عنه يقتضي انّ المأخوذ من اهل الذمّة اعني اليهود والنصارى في كل سنة أُجرة عن سكناهم في دار السلم والارتفاق بمرافقها لا يتقدّر في الشرع بمقدار معيّن في طرف الزيادة ويتقدّر

(١) نروي هذا الخبر ليرى القرّاء كيف كان يُعامَل الذمّيون وما أتى فيهم ابن فضلان مع ما يُشتَمّ من كلامه من التعصّب. على انّ وصفه لاحوال النصارى يفيد كثيراً لمعرفة ترتيبهم وعاداتهم مع ما كان يصيبهم من سوء المعاملة

في طرف النقصان بدينار فلا يؤخذ من احد منهم على الاطلاق اقلُّ من دينار . ويجوز ان يؤخذ ما يزيد على الدينار الى المائة حسب امتداد اليد عليهم مهما أمكن . فان رأى أن يتضاعف على كل شخص منهم ما يُؤخذ منه فللآراء الشريفة علوُّها في ذلك . وهذا لا يبقى عليهم لا في أحوالهم ولا في ذات ايديهم لان الغالب على الجميع التخفيف في القدر المأخوذ منهم وهم ضروب واقسام منهم مَن هو في خدمات الديوان وله الهيئة السنية (٤٢١) غير تركاتهم واندو المتدة الى اموال السلطان والرعية من الرشا والبراطيل . ولعل الواحد منهم يُنفق في يومه القدر المأخوذ منه في السنة هذا مع ما لهم من الحرمة الزائدة والجاه القاطع والترقّي على رقاب خواص المسلمين . وقد شاهد العبد ١) وغيره من الفقهاء الحاضرين بالمخزن لتناول الجر المتقبل ان ابن حاجب قيصر ٢) اقام ابن محرز الفقيه من طرف موضع كان بدواقعد مكانه ابن زطينا كاتب المخزن لمكان خدمته . وقد رُوي عن علي عليه السلام انه قال : « أمرنا ان لا نساويهم في المجلس ولا نشيّع جنائزهم ولا نعود مرضاهم ولا نبدأهم بسلام » . وقد كان ابن مهدي استفتى العبد ١) وغيره في تولية ابن ساوي النظر بواسط فقال له العبد : لا يجوز ذلك . وذكر له قصة عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه مع ابي موسى الاشعري وذلك انه عرض عليه بحسبة عمل من الاعمال فاعجبته فقال : من كاتبُ هذه؟ . وكان عمر جالساً في المسجد . فقال له ابو موسى : رجل بباب المسجد . فقال عمر : ما باله لا يدخل المسجد أجُنُبٌ هو ؟ قال : انما هو نصراني . فغضب عُمَر وقال : « أتقرّبونهم وقد أبعدهم الله وتأتمنونهم وقد خوَّنهم الله وترفعونهم وقد وضعهم الله لا يعمل لي هذا عملاً في بلد من بلاد الاسلام » .

« ثم ليس لهم في بلد من الحرمة والجاه والمكانة ما لهم في مدينة السلام فلو تضاعف المأخوذ منهم مهما تضاعف كان لهم الربحُ الكثير

« ومنهم اصحاب المكاسب الجزيلة بترددهم الى منازل الاعيان وارباب الاحوال ودخولهم على المتوجهين في الدولة والناس ويتحكمون فيما يعطون الطبيب زائداً

---

١) يريد ابن فضلان العبد نفسهُ

٢) كان من عمال النصارى كابن زطينا وابن ساوي الوارد ذكرها

(٣دو) على القدر المستحق وهو امر من قبل الزوآت فلا يتمكنون من الخلع السنية والدنانير الكثيرة والطُرَف في المواسم والفصول ٠ مما يحظون في الحاجات ويفسدون الامزجة والابدان ٠ ويخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشرة مسائل من مسائل حُنين وخمس قوائم من تذكرة الكحالين وقد تقمّص ولبس الهيئة الكبيرة وجلس في مقاعد الاسواق والشوارع على دكّة حتى يُعرف وبين يديه الكنة والمحدان(١) يؤذي هذا في بدنه ويجرّب على ذا في عينه فيتنك من اول النهار الى آخره ويمضي آخر النهار الى منزله ومكنّته مملوءة قراضة ٠ فاذا عُرف بقعوده على الدكّة وصار له الزبون قام يدور ويدخل الدور

٠ ومنهم أربابُ المعايش من العطارين والخلطين والكسّارين اصحاب المكاسب الظاهرة والارتفاقات الكثيرة باموال التجار المسلمين واخذهم من الحُجر بالمدّة وما يقفوا (يقفّون) في ميزان الذهب وميزان الارطال وما يغشّون في الحوائج ويدغلون

٠ ومنهم اصحاب الحرف والصناعات من الصاغة وغيرهم وما يتقلّبون فيه من الذهب والفضة ويسرقون الذهب ويجعلون عوضة المس(٢) ويمدلونه ويسرقون الفضّة ويجعلون عوض ذلك في المواضع المستورة بحسب احتمالاتها قاراً وغير ذلك

٠ ومنهم الجهابذة وما يسرقون في القبض والتقبيض ٠ ومنهم الصيارف واحتياجهم بضاعة دار الضرب مع ما لهم من التبسّط في المثلثات واولاد المسلمين وبذل جزيل المال في تحصيل اغراضهم في الفساد ورفاهية العيش والتلذذ في المآكل والمشارب ٠ ثم ما زالوا على اختلاف الزمان يتخذون بالغيار ولبس الغيار (٣دو) الذي اوجبه الشرع عليهم(٣)

٠ وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الامصار ان يجلوا اهل الذمة على جزّ نواصيهم وان يختموا اعناقهم بخواتيم من رصاص او حديد وان يركبوا على الأكُف عرضاً وان يشدّوا الزنانير على اوساطهم ليتميّزوا بذلك من المسلمين ٠ وعلى ذلك جرى الامر في زمن الخلفاء الراشدين ، وآخر من شدد عليهم المقتدي بامر الله

١) الكنة كيس يجمع فيه اجرة العمل اما المحدان فلفظة يريد بها مساعدتيه
٢) المسّ هو النحاس ٣) الغيار لبس اهل الذمة

واجراءهم على العادة التي كانت في زمن المتوكل فعلّق في اعناقهم الجلاجل ونصب الصور والخشب على ابوابهم ليتميّزوا بيوتهم من بيوت المسلمين ولا يساوى بناءهم ببنيان المسلمين. والزم اليهود لبس الغيار والعمائم الصفر. واما النساء فالأزُر العسلية وان تخالف شرابة منهم بين لوني خفيها فيكون الواحد اسود والآخر ابيض وان يجعلوا في اعناقهن اطواقاً من حديد اذا دخلن الحمّامات. واما النصارى فلبس الثياب الدكن والفاختية وشدّ الزنانير على اوساطهم وتعليق الصلبان على صدورهم واذا ارادوا الركوب لا يمكنوا من الخيل بل البغال والحمير بالبرادع دون السروج عرضاً من جانب واحد. فهؤلاء قد حطّ منهم هذا محطّة فلا يقابل ذلك بتضعيف ما يؤخذ منهم. وهؤلاء في اكثر البلاد يلزمون الغيار ولا يمكّنون من الدخول الا في أرذل الصنائع وأزرإ الحرف. اما في بخارى وسمرقند فتنقي الكُنُف والمجاري ورواقع الزبل ومساقط الفضلات هم اهل الذمة. واقرب البلاد اليّ ناطب وهم بها عليهم الغيار. ومن حُكم الشرع انه اذا أُخذت الجزية منهم يدفعها المُعطي منهم وهو قائم والآخذ قاعد يضعها في كفه ليتناولها المسلم (؟) من وسط كفه لتكون يد المسلم العُليا ويدُ الذمّي هي السُفلى ثم يمدّ باعيه ويضرب في لهازمه ويقول له: «ادّ حقّ الله يا عدوّ الله يا كافر». واليوم منهم من لا يحضر عند العامل بل ينفذها على يد صاحبه» انتهى قول ابن فضلان

ثمّ روى له عن الصابئة ما حرفه: «الصابئة قومٌ من عبدة الكواكب يسكنون في البلاد الواسطية لا ذمّة لهم وكان في قديم الزمان لهم ذمّة فاستفتى القاهرُ بالله ابا سعيد الاصطخري من اصحاب الشافعي في حقّهم فافتاه بإراقة دمائهم وان لا يقبل منهم الجزية. فلمّا سمعوا ذلك بذلوا له خمسين الف دينار فامسك عنهم. وهم اليوم لا جزية عليهم ولا يؤخذ منهم شيءٌ وهم في حكم المسلمين والامرُ أعلى». فلمّا وقف على رقعته لم يُعِد عنها جواباً

في السنة ٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م (؟) وفيها قتل رجل نصرانيّ كان يسكن في درب الشاكرية قتله غلام له والظاهر انه قد ستر فطال العهد بذلك والغلام في داره يتصرّف فيها على حسب ايثاره. فارتيب به فأُخذ وقُرّر بالضرب فاعترف بانه قتله والقاه في بئر داره. فوقع الاقتصار على تخليده السجن لان الغلام المذكور كان

مسلماً متلا بمذهب الشافعي واحمد في ذلك

في السنة ٦٣٤ هـ = ١٢٣٦ م تُخ (٤٠ ب) مجاهد الدين ايبك المستنصري خلع على الخواجه (كذا) ابي الحسن علي بن المختار العلوي وعلى وكيله ماري بن صاعد ابن توما النصراني تاج الدين

في السنة ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م تُخ (٨٩ ب) وفيها توفي ابو الحسن علي بن يوسف القفطي المعروف بالقاضي الأكرم وزير حلب مولده بمدينة قفط من اعمال الصعيد الاعلى بمصر كان غزير الفضل والادب قد احتوى على فنون العلوم كالنحو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والاصول والمنطق والنجوم والهندسة وفاق في النظم والنثر وله تصانيف كثيرة في عدة فنون(١) فمن شعره :

ضدان عندي قصرا همتي وجه حيي ولسان وقاح
ان رمت امراً خانني ذو الحيا وصفوه يطمعني في النجاح
فانثني في حيرة منهما لي مخلب ماض وما من جناح
شبه جبان فر من معرك خوفاً وفي يمناه عضب الكفاح

وله في اعور :

شيخ لنا يعزى الى منذر مستقبح الاخلاق والدين
من عجب البحر تحدث به بفرد عين ولسانين

وكان محباً للكتب جمع منها ما لا يجمعه احد من ابناء جنسه غالى في اثمانها فقصد بها من الآفاق ولم يكن له ولد ولا زوجة ولم يخلف سوى اخيه واوصى بكتبه للسلطان فاخذها ولعلها تساوي خمسين الف دينار

في السنة ٦٥٠ هـ = ١٢٥٢ م تُخ (٩٥ آ - ٩٦ ب) وفي شعبان توفي الشيخ ابو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني (٩٦ آ) شيخ وقته ومقدم اهل زمانه في علم اللغة وفن الادب مع معرفته بعلم الحديث والتفسير والفقه على مذهب ابي حنيفة وكان زاهداً عابداً كثير الصمت قدم بغداد سنة ٦١٥ وقرأ الناس عليه والتمرا به والحقه القاضي محمود بن احمد الزنجاني بالمعدلين فلم يحضر مجلس قاض ولا شاهد ونفذه الخليفة الناصر رسولاً الى ملك الهند فعاد بعد مدة طويلة في خلافة المستنصر بالله فنفذه مرة اخرى وعاد بعد مدة فرتب شيخاً برباط المرزبانية فلم يزل الى آخر ايام

(١) منها تاريخ الحكماء الذي طبع في ليبسك ثم مرغه احد المستشرقين

المستنصر . . . وكان يتردد الى دار الوزير يشغل ولده عز الدين في الادب وصنف كتاب مجمع البحرين في اللغة : وكتاب العباب الزاخر ودر اللباب الفاخر فانتهى منه الى فصل الباء في باب الميم وكتب بخطه : بكم . ولم يتمه وتوفي فجأة

﴿ السنة ٦٥١ هـ = ١٢٥٣ م ﴾ وفيها اعطى رجل سائلا في بعض اسواق بغداد ديناراً فقال السائل : اني اعرف هذا الدينار وانه فقد مني في جملة دنانير . فسأله الرجل عن علامة ما فقد منه فذكرها فقال : اني وجدت هذا منذ سنة وما زال عندي الى الآن ولم اجد احداً يذكره فاخرجته لأتصدق به عن صاحبه وهذا اول دينار اخرجت . ثم سلم الذهب الى السائل فاغناه عن السؤال . وقد ذكر ابن الحافظ النجار في تاريخه : ان رجلا ضاع منه دملج ذهب وزنه خمسون ديناراً ومضى عليه دهر طويل وافتقر الرجل وصار يبيع الزجاج في سلة على راسه فعثر يوما فسقط الزجاج وتكسر فبكى واجتمع الناس عليه فقال : والله لقد ضاع مني مرة دملج ذهب وزنه خمسون مثقالاً فلم احزن عليه كحزني لهذه السلة . فقال له رجل ممن اجتمع عليه : انا وجدته ولكني اخرجته . واعطاه خمسين مثقالاً ذهباً

﴿ السنة ٦٥٢ هـ = ١٢٥٤ م ﴾ (٩٩) في هذه السنة جرت بين اصحاب الشيخ عدي بن مسافر واصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل محاربة كان سببها ان بدر الدين كان كثير التثقيل على اولاد الشيخ عدي ويكلفهم مالاً على وجه المساعدة . فأطلقوا السنتهم فيه فارسل طائفة من عسكره اليهم فقاتلهم قتالا شديداً فانهزمت الاكراد البدوية وقتل منهم جماعة كثيرة واسروا منهم جماعة فصلب بدر الدين منهم مائة وذبح مائة وامر بتقطيع اعضاء اسيرهم وتعليقها على ابواب الموصل وارسل من نبش الشيخ عدياً من ضريحه واحرق عظامه

﴿ السنة ٦٥٣ هـ = ١٢٥٥ م ﴾ (١٠٨) وفيها توفي ابو الفضل بن ابي الخير ابن المسيحي الجاثليق ببغداد وولي بعده مكيخا النصيبي وكان اديباً فاضلا

﴿ السنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م ﴾ (٢١٩) وهي سنة دخول المغول الى بغداد . قال : وضع السيف في اهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر وما زالوا في قتل ونهب واسر وتعذيب الناس بانواع العذاب واستخراج الاموال بأليم العقاب مدة اربعين يوماً فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال فلم يبق من اهل البلد وأمن التجى

اليوم من اهل السواد الأ القليل ما عدا النصارى فأنهم تجنّهم شحانيّ حرسوا بيوتهم والتجأ اليهم خلقٌ كثير من المسلمين فسلموا عندهم ... وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد وكانت القتلى في الدروب والاسواق كالتلال ....

(119a) عز الدين ابن ابي الحديد كاتب السلة (السكة ؟) لم تطل ايامه وتوفي فرتّب عوضه ابن الخال النصراني

(119b) وفيها تقدّم الجاثليق (مكيخا) بسكنى دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير التي على شاطئ دجلة فسكنها ودقّ الناقوس على اعلاها واستولى على دار الفلك التي كانت رباط النساء تجاه هذه الدار المذكورة وعلى الرباط البشيري المجاور لها وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسرياني

﴿ السنة ٦٥٩ هـ = ١٢٦٠ م ﴾ (123a) انفذ الملك الظاهر سنجر مملوك ابيه وضمّ له جماعة من العسكر فسار بهم الى الموصل ... فلما بلغها مُنع من دخولها اياماً فوثب محيي الدين ابن ديلاو (كذا!) في طائفة من العوام وفتحوا له باب الجسر فدخل منه ووضع السيف في النصارى فقتل اكثرهم ونهب اموالهم . وبلغه انّ عسكر المغول واصل اليه فخرج ومعه الف فارس وسار نحو نصيبين فالتقى به عسكر المغول فقتلوه وقتلوا الكثير من معه . فلما بلغ السلطان هولاكوقان ذلك سيّر الامير سنداغوا الى الموصل

﴿ السنة ٦٦٠ هـ = ١٢٦١ م ﴾ (124a) نزل سنداغوا على الموصل وحصرها ... حتى فتحها .... ولما فرغ سنداغوا من فتح الموصل سار الى جزيرة ابن عمر ففتحها بأمان وقتل حاكمها واستعمل عليها رجلاً نصرانياً اسمه تر حنيا ثمّ عاد الى السلطان

﴿ السنة ٦٦٣ هـ = ١٢٦٤ م ﴾ (125a) فيها عُين رضي الدين المعروف بالبابا والياً بالموصل فدخلها وقبض الزكيّ الاربلي الذي كان والياً وطالبه بالبقايا التي ساقها الحساب عليه واستوفى منه معظمها ثمّ قتله

(125b) وفيها قبض مر مكيخا الجاثليق على نصرانيّ من اهل بغداد قد أسلم فاعتقله بداره المعروفة بالدويدار الكبير على شاطئ دجلة وعزم على تغريقه .

فبلغ العوام ذلك فاجتمعوا على سوق العطارين برأس درب دينار وغيره من محال النصارى وحصروا الجاثليق واحرقوا باب داره (٤٢٦ ب) وقاتلوا اصحابه. فنزل في سفينة وقصد دار صاحب الديوان علاء الدين واستجار به فامر الكلجية بكف العوام وركب سوكال بجيش شحنة بغداد واخذ نفراً من العوام وقتل منهم وحبس جماعة فسكنت الفتنة. ثم ان الجاثليق توجه الى الاردو الاشرف وعاد على اربل وبنى قلعتها بيعة ثم قدم بغداد واقام بها الى ان مات (سنة ٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م) ورتّب في منصبه مار دنحا الاربلي

﴿السنة ٦٦٤ هـ = ١٢٦٥ م﴾ (٤٢٦ ب) فيها سار الملك الظاهر المعروف بالبندقدار الى بلاد الارمن واوقع باهلها ونهبهم واستباح اموالهم واكثر القتل والاسر فيهم خصوصاً اهل سيس واسر ابناً لليون(١) صغيراً وكان سبب ذلك ان ليون راسل البندقدار لما ملك مصر وعاهده على خراج مقرر يحمله اليه فمطله به هذه السنة. لما عاد البندقدار اجتاز بانطاكية وحصرها وفتحها عنوة وقتل اهلها ونهب اموالهم وعاد الى بلاده. فارسل ليون الى البندقدار يسأله فداء ابنه فاجابه الى ذلك وقال: ان لنا اسيراً بيد المغول يُعرف بسنقر الاشقر خلّصه وارسله الينا لنطلق ابنك. فسار الى اردو السلطان اباقا وانهى ذلك اليه وسأله اطلاق سنقر فامر بتسليمه اليه فسيّره الى البندقدار فاطلق ابنه. ثم ان ليون ارسل ابناً له كبيراً الى السلطان اباقا وذكر انه عجز عن الحركة وسأله ان يملّك ابنه المذكور. فاجاب سؤاله واعاده اليه فاستقل بملك ابيه

﴿السنة ٦٦٥ هـ = ١٢٦٦ م﴾ (٤٢٦ ب — ٤٢٧ أ) امر الصاحب علاء الدين صاحب الديوان بقتل ابن الخشكري النعماني الشاعر وسبب ذلك انه بلغه عنه انه يقول الشناعات في الشرع ويفضّل شعره على القرآن المجيد ويُقدم على ما لا يجوز ذكره. فعظم ذلك عليه. واتفق انحداره الى واسط فلما وصل النعمانية حضر ابن الخشكري عنده وانشده قصيدة يمدحه فيها فأذّن المؤذن فنصت الصاحب اليه فقال ابن الخشكري: مولانا يسمع شيئاً جديداً ويعرض عن شيء له سنين. فثبت حينئذ عنده ما قيل

١) هكذا ورد هذا الاسم يريد « ليون » بن هيثوم ملك الارمن

منه . . . . . . فلما ركب من الغد امر ابن سليط الاسدي ان ينفرد به ويقتله . . . فقتله واخذ فرسه وثيابه . (137 ج٢) وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال شيخ رباط المرزبانية . كان شيخاً صالحاً ورعاً زاهداً حكى عن نفسه قال : كنت بمصر واتصل بي ما جرى ببغداد في الواقعة (اي واقعة المغول) من القتل والنهب والهتك والاسر فانكرته بقلبي وقلت : يا ربّ كيف هذا وفيهم الاطفال ومن لا ذنب له ؟ فرأيت تلك الليلة في المنام رجلاً في يده كتاب فاخذته منه فاذا فيه :

دع الاعتراض فما الامر لك ولا الحكمُ في حركات الفلكْ
ولا تسألِ الله عن فعله فمن خاض لجة بحر هلكْ

فاستغفرتُ الله تعالى وامسكتُ

❊ السنة ٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م ❊ (137 ج٢) وفيها وُلّي على الموصل رجل نصراني اسمه مسعود وهو من قرى اربل اسمها برقوطا وعُزل عنها البابا ورُتّب معه شحنة من المغول اسمه لشموط

❊ السنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م ❊ (132 ج٢) ذكروا لعلاء الدين صاحب الديوان انّ بها (اي تستر) رجلاً يدّعي النبوة وقد اتّفق معه جماعة وقد نقّص لهم من الفروض (132 ج٢) صلاة العصر وعشاء الآخرة . فامر باحضاره وسأله عن هذه الحال فرآه ذكياً عارفاً ببعض العلوم فامر بقتله فقُتل وسُلّم الى العوام واخذ اكثر من كان قد تبعه . وهذا كان صبياً من ابناء التجار اسمه كيّ اشتغل بحفظ القرآن والفقه والاشارات والنجوم وكان ينظم شعراً بالفارسية فادّعى انه عيسى بن مريم وقال : « ان بلغتُ من العمر ثلاثاً وثلثين سنة تمّ امري » ونظم شعراً يتضمن ذلك فقُتل ولم يبلغ ما ذكرهُ من العمر

❊ السنة ٦٧٥ هـ = ١٢٧٦ ❊ (137 ج٢) في هذه السنة سار الملك الظاهر البندقدار بعساكره الى بلاد الروم وعرفه قتال العدوات (صاحب التتر) فلما عرف بمسيره تحصّن ببعض القلاع التي على ساحل البحر وخرج المغول الى لقاء البندقدار . . . وقاتلوه فاستظهر عليهم . . . ولما عزم على العود (من قيسارية) نهب النصارى واخذ اموالهم وسبى ذراريهم ولم يقتل منهم احداً ثمّ رحل عائداً الى بلاده واستصحب امّ البرواناه واولادهُ وحرمهُ . . . . (137 ج٢) . . . سنة ٦٧٦ (فيها روايات عن موته مسموماً)

﴿ السنة ٦٧٦ هـ = ١٢٧٧ م ﴾ (٢: ٤٣٩) وفيها أنهى مسعود البرقوطي والي الموصل والشرط الشحنة بها الى السلطان ابقا خان انهما ظلما في المحاسبة على ضمان الموصل فامر بتحقيق ذلك. فلما عملوا حسابهما ثبتوا ان البابا كان على الباطل فما اشتده معهما وامر بقتله فقتل وولاهما الموصل واربل فعادا برأسه وطافا به وعلق على باب الجسر

﴿ السنة ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م ﴾ (٢: ٤٤٠ — ٤٤١) روى فيها خبر الشيخ عبد الرحمان النصاب وتأثيره في إسلام السلطان احمد خلف ابقا سلطان المغول (سنة ٦٨٢) ثم حرب السلطان احمد والسلطان ارغون وقتل احمد سنة (٦٨٣: ٤٤٢)

وفي السنة ٦٨٢ توفي عماد الدين زكريا بن محمود القزويني قاضي واسط بها وحمل الى بغداد ودفن في الشونيزي وكان عالماً فاضلاً صنف كتاباً سماه عجائب المخلوقات وكان يكتب خطاً جيداً تولى القضاء بالحلة في سنة خمسين (وستمائة) ثم نقل الى القضاء بواسط سنة ٦٥٢ واضيف اليه التدريس بمدرسة الشرابي فلم يزل في ذلك الى ان مات وكان حسن السيرة عفيفاً

﴿ السنة ٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م ﴾ (٢: ٤٤٣) وفيها اشتهر ببغداد عز الدولة ابن كمونة اليهودي صنف كتاباً سماه الابحاث عن الملل الثلاث تعرض فيه بذكر النبوات وقال ما نعوذ بالله من ذكره. فثار العوام وهاجوا واجتمعوا لكبس داره وقتله فركب الامير تمسكاي شحنة العراق ومجد الدين ابن الاثير وجماعة الحكام الى المدرسة المستنصرية واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين لتحقيق هذه الحال. وطلبوا ابن كمونة فاختفى. واتفق ذلك اليوم يوم جمعة فركب قاضي القضاة للصلاة فمنعه العوام فعاد الى المستنصرية فخرج ابن الاثير ليسكن العوام فأسمعوه اقبح الكلام ونسبوه الى التعصب لابن كمونة والذب عنه. فامر الشحنة بالنداء في بغداد بالمباكرة في غد الى ظاهر السور لاحراق ابن كمونة فسكن العوام ولم يتجدد بعد ذلك له ذكر. واما ابن كمونة فانه وضع في صندوق مجلد وحمل الى الحلة وكان ولده كاتباً فاقام اياماً وتوفي هناك

﴿ السنة ٦٨٤ هـ = ١٢٨٥ م ﴾ (٢: ٤٤٤) وفيها اغارت طائفة من عسكر الشام على ديار بكر والموصل واربل وقتلوا ونهبوا وسبوا واخذوا اموال التجار من قيسارية الموصل وقتلوا كثيراً من النصارى في اربل. ونهب الاكراد بلد البوازيج ومعيدى

وقتلوا جماعة من (156') النصارى ونهبوا الاموال

﴿ السنة ٦٨٨ هـ = ١٢٨٩ م ﴾ وفيها توفي صفي الدولة سليمن بن الجمل النصراني كاتب السلة (السكة) ببغداد

﴿ السنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١ م ﴾ (161') روى فيها مصادرة اليهود وقتلهم ونهبهم في بغداد وفي كل بلاد العراق . . وذكر من اعيانهم سعد الدولة وفخر الدولة الاخوين . ثم امين الدولة اخاهما الحاكم على الموصل

(163' — 166') وفيها فتح الملك الاشرف صاحب مصر والشام لمدينة عكة . . . قاتل من بها اربعين يوماً (براً وبحراً) حتى فتحها عنوة وقتل في اهلها قتلاً عظيماً وسبى ذراريهم ونهب اموالهم ثم امر بهدمها فهدمت حتى عفى آثارها والحقها بالارض ثم عاد الى دمشق فاقام بها شهراً . . . (القصيدة لبعضهم في نحو ٥٠ بيتاً اولها :

الحمد لله ذلت دولة الصلُب وعزّ بالترك دين المصطفى العربي)

ثم ان الاشرف سيّر قائداً يُعرف بالشجاعي في عشرين الف فارس الى صيداء وصور فنازل صيداء وفتحها وقتل من بها واخربها . ثم رحل الى صور فتلقاهُ اهلها بالطاعة فدخلها واغلق ابوابها ووضع السيف فيهم وقتل الرجال وسبى الذراري واخربها وعاد الى الاشرف وهو بدمشق ولم يبقَ للفرنج في ساحل البحر حجر على حجر ثم عاد الاشرف الى مصر

﴿ السنة ٦٩٣ هـ = ١٢٩٤ م ﴾ (167') وفيها توفي شمس الدولة ابن عنقد النصراني كاتب السلة (السكة) ببغداد . وفيها في الوباء ايضاً مات ابو منصور الطبيب النصراني المعروف بكتيبات وكان حاذقاً في علم الطب محمود العلاج وكأن الشاعر عناهُ بقوله :

كأنهُ من لطف افكاره يجول بين الدمّ واللحم
ان غضبت روح على جسمها ألّفَ بين الروح والجسم

﴿ السنة ٦٩٤ هـ = ١٢٩٥ م ﴾ (65'') جلس السلطان غازان (ويدعى غازان) على التخت في ذي الحجة ودخل تبريز وصلّى في جامعها وامر بالزام اهل الذمّة الغيار فكانت علامة النصارى شدّ الزنار في اوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمائمهم

فداموا على ذلك شهوراً ثمّ أُزيل بمجرَّد تسلُّط العوامّ عليهم وطمع الجهَّال فيهم ·
وتقدم السلطان باخذ دار علاء الدين الطبرسي (sic) الدويدار الكبير من النصارى فانها كانت بايديهم من حيث مُلكت بغداد وأُزيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانيّة واستُعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك وكان قد جعله النصارى مدفناً لاكابرهم فأُزيلت القبور منه وصار محلّاً للوعظ

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل التاسع

التعاليم الفلسفيّة واللاهوتيّة بين نصارى الجاهليّة

اثبتنا في مقدّمة ابحاثنا عن النصرانيّة وآدابها في عهد الجاهليّة انّ العرب كانوا مشركين كبقيّة الامم ما خلا الشعب الاسرائيلي وأنهم عبدوا الاصنام قبل التاريخ المسيحي وفي القرون الاولى بعده وان اختلف شركهم بعض الاختلاف في جنوب جزيرتهم وشمالها وغربها

لمّا الآثار المتأخرة الباقية من القرن السادس واوائل السابع للمسيح فعلى خلاف ذلك فانّها الى التوحيد اقربُ منها الى الشرك بل لا تكاد تجد في الشعر الجاهلي المجموع في ذلك العهد اثرًا للشرك اللهمّ الأبياتاً قليلة لا يُعبأ بها

وعندنا انّ هذا الانقلاب انّما كان سببهُ شيوع النصرانيّة في ظهرانَي العرب كما بيّنّا ذلك بالشواهد المتعدّدة في القسم الاول من كتابنا · واذا تقصّينا البحث في ما

خلّفوهُ من الآثار وجدنا فيها من المبادئ الفلسفيّة والتعاليم اللاهوتيّة ما هو دليلٌ لامع على قولنا

الفلسفة النصرانية في عرب الجاهلية

ليس احدٌ من قرَّائنا ينتظر منّا ان نعدّد لهُ ما وضعهُ نصارى العرب في الجاهليّة من التآليف الفلسفيّة فانّ اهل الجزيرة قبل الاسلام وبعدهُ لم يشتهروا مطلقاً في النظريّات اذ كان همّهم الاعظم ان يعيشوا في مواطنهم عيشةً فطريّةً لا يزعجها حنك الفكر ولا يخالطها التعمّق في غوامض الكون · وان قيل لنا ألا تحصي بين كبار فلاسفة العرب الرئيس ابن سينا والفارابيّ وابن رشد اجبنا انّهم اعاجم ليسوا عرباً · وان وُجد بينهم افراد احرزوا لهم ذكرًا في ذلك كالكنديّ فانّهُ من باب الشذوذ

لكنّ الفلسفة لا تظهر فقط في المؤلّفات النظريّة بل ربّما ظهرت في مطاوي الكلام نثرهِ ونظمهِ حيث تلوح المبادئ التي يجري المرء بموجبها ويرتشد بنورها وذلك خصوصاً في فروعها الثلثة اعني بها علم الاله ثمّ علم النفس ثمّ علم الآداب والحقوق وكل ذلك متوفر في آثار الجاهليّة كما سترى

﴿ ١ علم الاله الحقّ ﴾ يُثبت الفيلسوف بالبراهين العقليّة وجود الله ووحدانيّتهُ وخلقهُ للعالم وصفاتهِ الحسنى من قداسةٍ وحكمةٍ وعلمٍ وقدرةٍ وعدلٍ وعناية بالمخلوقات وهذا كلّهُ تجدهُ في شعراء الجاهليّة الذين روينا اقوالهم في القسم الثاني (ص ١٥٨–١٦٢) كقول زيد بن عمرو :

الى الله أُهدي مدحتي وثنائيا   وقولاً رصينًا لا يني الدهرَ باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقهُ   إلهٌ ولا ربٌّ يكون مدانيا
رضيتُ بك اللهمَّ ربًّا فلن أُرى   ادينُ الهًا غيرك الله ثانيا

وكقول قسّ بن ساعدة خطيب العرب :

الحمدُ لله الذي   لم يخلق الخلقَ عبثْ

وكقول ورقة بن نوفل :

ادينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أُرى   ادينُ لمن لا يسمع الدهرَ واعيا
اقول اذا صلّيتُ في كل بيعةٍ   تباركتَ قد اكثرتُ اسمك داعيا

وكقول عبد القيس بن خُفاف (المفضّليات ص ٧٥٠ ed. Lyall):

الله فاتقه وأوفِ بنذره وإذا حلفت مماريًا فتحلّلِ

وكقول طرفة (شعراء النصرانيّة ٣١٩):

لتعلمنّ عن الآية انّ م الله ليس كحكمه حكمُ

وكقول سويد بن ابي كاهل:

أنا برفع الله ومن شاء وضعْ

وكقول حاتم الطائي:

كلوا اليوم رزق الإله وأيسروا فانّ على الرحمن رزقكم غدا

واقوال كثيرة لاميّة بن ابي الصلت ولا سيّما داليّتهُ العجيبة التي اولها:

لك الحمدُ والنعماء والفضلُ ربّنا فلا شيء اعلى منك حمدًا وامجدُ

وفيها يقول:

هو الله باري الخلق والخلقُ كلّهُ إماءٌ له طوعًا جميعًا واعبدُ

أُعجب بها نبيّ الاسلام فقال لمّا سمعها من الشريد بن سويد: لقد كاد اميّة ان يُسلم بشعرهِ (اطلب حياة الحيوان للدميري ٢ : ١٩٠)

فهذه واقوال غيرها كثيرة تثبت انّ العرب في الجاهليّة عرفوا الاله الحقيقيّ ولا شكّ بانّ هذه المعرفة اتتهم من مبشّرين نصارى سبق لنا ذكرهم في تاريخ النصرانيّة بين العرب (القسم الأوّل)

۞ ٢ علم النفس ۞ كان لقدماء العرب قبل ان يستنيروا بنور الانجيل اراء باطلة في النفس واصلها ومصيرها فيهيمون بزاعمهم في كلّ وادٍ. فلمّا هداهم الله الى الحقّ عدلوا الى ما هو اقرب الى الصواب فأقرّوا بخلود النفس وحرّضوا على تقى الله وممارسة الاعمال الصالحة واشاروا الى ما ينتظر النفس من الحساب يوم الدين فتجازى عن اعمالها ثوابًا او عقابًا. وهذا كلّهُ محلّ ما يُستفاد من التعاليم الفلسفيّة. فدونك بعض الشواهد على قولنا. اوردنا في شعر عديّ بن زيد (ص ٢٥١) ما قال في تصوير الله للانسان ونفخه فيه من روحه. ولطرفة قولهُ في عقل الانسان (شعراء النصرانيّة ص ٣١٧) وما خُصّ به من الادراك:

الفتى عقلٌ يعيش به حيث تهدي ساقَه قدمُه

وقد ميّزوا بين الروح الخالدة والجسد الفاني كقول ذي الرمّة مستغيثاً :

يا قابضَ الروح من جسمي اذا قُبضتْ وفارجَ الكرْبِ أنقذني من النار

واشاروا الى وقوف النفس امام الديّان وادائها الحساب عن اعمالها والى جزائها خيراً او شرّاً على موجب سلوكها . قال الحارث بن عُباد (شعراء النصرانيّة ٢٧٠) :

كلُّ شيءٍ مصيرُهُ للزوالِ غيرَ ربّي وصالحِ الاعمالِ

وقال مرّة بن ذُهل في مراقبة الله لاعمال البشر (فيه ص ٢٤٨) :

الله للأقوام بالمرصادِ

وقال طرفة (فيه ٣١٧) :

وكيف يرجّي المرء دهراً مخلَّداً وأعمالُهُ عمّا قليلٍ تُحاسبُهْ

وقال اميّة بن ابي الصلت (القسم الاوّل ص ١٦٨) :

يوقف الناس للحساب جميعاً فشقيٌّ معذَّبٌ وسعيدُ

وقال عديّ بن زيد :

أعاذلَ من تُكتبْ له النارُ يلقَها كفاحاً ومن يُكتبْ له الفوزُ يَسعدِ

ومثله زهير في معلّقته :

فلا تكتُمُنَّ الله ما في صدوركم ليَخفى ومهما يُكتمِ الله يَعلمِ
يؤخَّر فيوضع في كتابٍ فيُدَّخر ليوم الحساب او يُعجَّلْ فيُنقمِ

وللبيد ايضاً :

وكلُّ امرئٍ يوماً سيعلمُ سعيهُ اذا كُشِّفتْ عند الالهِ المحاصلُ

وكانَّ حاتمَ الطائي (شعراء النصرانيّة ١٢١) نظم آية الكتاب «من يُعطِ الفقيرَ يقرض الربَّ» بقوله :

ولكنّما يُغني مع الله وعدُهُ فأعطِ فقد أربحتَ في البيعة الكَسْبا

واقوال عديدة مثلها تنطق بمعرفتهم لاحوال النفس والمعاد . وقد ذكرنا سابقاً

(ص ٣٢) كيف ردّ العلّامة اوريجانس بعض المبتدعين من العرب من ضلالٍ سقطوا به في امر النفس اذ زعموا انها تفنى كالجسد ثمّ تُبعَث معهُ في الدينونة

(٣ علم الآداب والحقوق) مرجع هذا العلم أن يُعطى كلُّ ذي حقٍّ حقَّهُ مع مراعاة الاحوال والمقامات من رؤساء ومرؤوسين وافراد وجماعات الخ . وبديهيٌّ ان احوال اهل البادية تختلف عن احوال سكّان المدن وشُيّعتهم عن سُنّتهم . ولشعراء الجاهليّة تأييدًا لهذه المبادئ الصحيحة اقوال لا تُحصى جمعها القدماء . فنحيل اليها . منها حماسة البحتري الذي نشرناه منذ عهد قريب . قسمة جامعة على ١٧٤ بابًا تتناول معظم الآداب والاخلاق التي يتباحث بها الفلاسفة فيثبتون وجوبها وقوانيها وفقًا لتعاليم العقل واحكام الشريعة . انظر مثلًا ما يقولهُ الافوهُ الاوديّ في النظام السياسي وحكم ارباب الامر (شعراء النصرانيّة ص ٧٠) :

لا يصلح الناس فوضى لا سراةَ لهم   ولا سراة اذا جهّالهم سادوا
تُهدى الامورُ باهل الرأي ما صلحت   فان تولّت فبالاشرار تنقادُ .
اذا تولّى سراةُ الناس امرَهمُ   نما على ذاك امرُ القوم فازدادوا

وهذا النابغة الذبياني يعزو الى الله سلطة الملوك حيث يقول للملك النعمان (شعراء النصرانيّة ٦٥٦) :

ألم ترَ انّ الله أعطاك سُورةً   ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يتذبذبُ

وكلُّ اديبٍ يعرف خاتمة معلّقة زُهير وما في ابياتها الاخيرة من الحِكم المبنيّة على علم الاخلاق والآداب الاجتماعيّة . ومثلها في معلّقة الحارث بن حلّزة . والطرفة يطالب بحقوق امه وردة (شعراء النصرانيّة ٢٩٨) :

ما تنظرون بحقّ وردة فيكمُ   صَغُر البنونَ ورهطُ وردةَ غُيَّبُ
قد يبعث الامرَ العظيمَ صغيرُهُ   حتّى تظلَّ لهُ الدماء تَصَبَّبُ
قد يوردُ الظلمُ المبيّنُ آجنًا   ملحًا يُخالطُ بالذعاف ويُقشَبُ
والاثم داءٌ ليس يُرجى بُرؤهُ   والبِرُّ بُرءٌ ليس فيهِ معطبُ
أدّوا الحقوقَ تَفِرْ لكم أعراضُكم   انّ الكريم اذا يُحرَّبُ يغضبُ

فهذه كلّها اقوال من الفلسفة العقليّة ابرزها عرب الجاهليّة في صورةٍ شعريّةٍ .

٢ التعاليم اللاهوتيّة بين نصارى الجاهليّة

اللاهوت كما هو معلوم اساسهُ الوحي سواءٌ كان مدوّنًا في الاسفار المقدّسة ام

شأنها بتعليم الكنيسة . وقد عرف نصارى العرب الوحي وكتبهُ وائمَّة الانبياء والرسل كما اثبتنا ذلك في الفصول السابقة (ص ١٧٩ — ١٩٠) . مثل قول الراهب ورقة بن نوفل :

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ معهما من اللهِ وحيٌ يشرحُ الصدرَ منزلُ

وقد ورد هناك ذكر التوراة والزبور والانجيل وبعض الانبياء والرسل كموسى وداود وسليمان ويونان . ومما اخذوهُ عن الوحي معلومات عديدة عن الله جلَّ جلالهُ كتوحيدهِ وصفاتهِ العلويَّة . فانَّ منها ما يُستدلُّ عليهِ بالوحي اكثر من القياس النظريّ والبرهان العقليّ . فايُّ فيلسوف مثلاً وصفهُ تعالى كما فعل امية بن ابي الصلت حيث قال :

لك الحمدُ والنعماء والملكُ ربَّنا فلا شيء اعلى منك مجداً وامجدُ
مليكٌ على عرشِ السماء مهيمنٌ لعزَّتهِ تعنو الوجوهُ وتسجدُ
عليهِ حجابُ النورِ والنورُ حولهُ وانهارُ نورٍ حولهُ تتوقَّدُ
مليك السموات الشداد وارضها وما شيءٌ من قضاه تأوُّدُ الخ

وهو الوحي قد انبأهم بوجود الملائكة واوقفهم على مقامهم وجوهرهم وخدمتهم امام الله وطبقاتهم فذكروا منهم باسمائهم جبرائيل وميكائيل ومن طبقاتهم السرافيل (الساروفيم) والكروبيَّة (الكروبيم) والملائكة الحراس (راجع الصفحة ١٦٦ — ١٦٧)

وقد افادهم الوحي تكوين الله للعالم من العدم وابداعهُ الكائنات جمادها ونباتها وحيوانها ثم خلقهُ للابوين الاوَّلين ووضعهُ لهما في جنَّة عدن ثم سقوطهما بتجربة ابليس ونفيهما من الفردوس ثم ما جرى لهما ولنسلهما ولا سيما بوقوع الطوفان . فكلُّ هذه الامور التي اثبتناها بالنصوص المتعدّدة لم يعرفها العرب الَّا بواسطة الوحي (راجع الصفحة ٢٥٤ — ٢٦٦)

ومن الوحي استفاد العرب ايضاً معرفة امور الآخرة كالنعيم في السماء للابرار والجحيم في جهنَّم للاشرار وبعث الاجساد في آخر العالم . وقد اتينا على كلّ ذلك بشواهد متعدّدة لا تبقي في الامر ريباً (اطلب الصفحة ١٦٣ — ١٦٤ و١٦٧ — ١٧٠)

ومما توقَّف العرب الى معرفته بفضل الوحي سرُّ بشارة الملاك جبرئيل لمريم العذراء .

وبقاء مريم على بتوليّتها مع ولادة ابنها . وعرفوا السيّد المسيح ورسالته الى العالم وما اتاه من المعجزات واختياره رسله الحواريين ودعوه بأبيل الأبيلين المسيح بن مريم ، وانه هو الذي سيدين الاحياء والاموات (ص ١٨٦ – ١٩٠) وذكروا السابق امام وجهه يوحنا المعمدان ودعوه يحيى

وقد عظّم عرب الجاهليّة تعليم المسيح ونعتوا دينه بالدين القويم كما قال النابغة عن نصارى غسّان :

مجلّتهم ذاتُ الإله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وقد عرف العرب كنيسة المسيح وما فيها من رؤساء كالبطاركة والاساقفة والقسوس والشمامسة ولاسيّما الرهبان والنسّاك (ص ١٩٠ – ٢٠١)

وكذلك اطّلعوا على اسرار الكنيسة كالمعموديّة والقربان والقدّاس وعلى اعيادها كالبِشار (البشارة) والدنح (الغطاس) والسباسب (الشعانين) والفصح والسلاق (الصعود) (ص ٢٠٨ – ٢١٠ – ثمَّ ٢١٤ – ٢١٨)

وعرفوا مناسك النصرانيّة وكنائسها وهياكلها وما تزيّنت به من النقوش والصور وخصوصاً الصليب حلفوا به كقول عديّ بن زيد :

سعى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربِّ مكّةَ والصليبِ

وقد حلف الأغر بالقربان ودعاء الشَّبْر

الحمد لله الذي أعطى الشَّبَرْ

ومثله عديّ :

إذ أتاني خبرٌ من مُنْعِمٍ لم أخُنْهُ والذي أعطى الشَّبَرْ

وحلف الاعشى بالرهبان الساجدين وبالناقوس فقال :

إني وربِّ الساجدين عشيّةً وما صكَّ ناقوسَ النصارى أبيلُها
أصالحكم حتى تبوؤوا بمثلها كصرخة حُبلى أسلمتها قبيلُها

فهذه كلّها ادلّة اوضح من النور تبيّن ما كان للتعاليم اللاهوتيّة من النفوذ بين نصارى العرب استخلصناها من الشعر الجاهليّ فقط وهي احسن برهان على نفوذ الآداب النصرانيّة بينهم

(له بقيّة)

النقابات والاضراب

بحث اجتماعي بقلم الاديب الشيخ ادوار الدحداح (تتمة)

بحث ثانٍ عن الاضراب

قصرنا بحثنا في العدد الماضي من المشرق على النقابات ونتناول اليوم الكلام عن الإضراب . والنقابات والاضراب أداتان تسيران جنباً الى جنب يرجع اليهما العمّال للسهر على حقوقهم وصيانة مصالحهم . فالأولى منهما اداة الجهاد السلمي والثانية اداة للجهاد العملي . والواحدة تُستخدَم لتنظيم حركة العمّال والاخرى لتدفع بهم الى العراك

وليست النقابات ضرية لازبة لوجود الاضراب ولكنها تسهّلة اذ يكون العمّال اجمع كلمةً واشدّ تضامناً واقوى ساعداً . وقد دلّت الاحصاءات ان السنين التي كثر فيها عدد النقابات لم تكن بالسنين التي تزداد فيها عدد الإضراب ازدياداً يعادل وفرة شيوع النقابات

والإضراب او الاعتصاب إجماعٌ كلّي او جزئي من عمّال الحرفة الواحدة او المعهد الواحد على الامتناع من اداء ما أُلزموا عليه من الاعمال . ويرمون بذلك الى تعطيل الاشغال والحاق الخسارة بصاحب المال على امل ان يرضخ لمشيئتهم ويستجيب مطاليبهم كأن يقلّل ساعات يوميتهم او يخفض شيئاً من اعباء اشغالهم او يزيد اجورهم او يُدخل بعض التعديل على معاملتهم الى غير ذلك

وللاضراب قواعد معيّنة لا يجوز البتّ بها . على أنَّ من المضربين مَن عبث بهذه القواعد تحت تأثير الشاغبين والمرتشين فشذّ عن جادّة الحق واغفل مصلحته الحقيقية وتجاوز بالاضراب حدود العدل اعني بها صيانة حقوق العمّال وجعله سلاحاً لمحاربة الحكومات وعرقلة سير القوانين والاحتجاج على برامج الدولة وتمكين اعداء النظام كما سنبيّن ذلك فيما بعد .

١ تاريخ الاضراب

الاضراب كالنقابات كان محظوراً من الحكومات الى عهد قريب فلم يكن للعامل قبل منتصف القرن التاسع عشر ان يعمد الى الاضراب او يتوسل الى تعطيل الاعمال . فقد كان معدوم الشخصية المستقلة محروم الحرية الفردية في العمل مدفوعاً بمشيئة ارباب الصناعة شأن رفاقه الذين تضمهم جمعيات « طوائف الحرف » المتقدمة الذكر

وقد رأت الحكومات وسائر السلطات صوابية الاضراب والاعتراف به ضمن شرائط محدودة لا يجوز تخطيها حتى في اوضح الحقوق والا استهدف المضربون لطائلة القانون الادبي والمادي . والحجة في اباحة الاضراب قائمة على مبدأ الحرية الفردية فكما انه يجوز للرجل الواحد ان يقعد عن الكدح لرزقه بمجرد ارادته دون ان يقع مادياً تحت طائلة القانون يجوز لرهط الرجال ان يحذوا حذوه

ولم يكن الاضراب قبل السماح به على الرغم من تحريمه تحريماً عنيفاً مجهولاً لدى عالم العمال . فانهم ما فتئوا يلجأون اليه في كل عصر بين آونة وأخرى . على أنّ من استقصى حركة العمال وراقب احوالهم النفسية من الزمن السابق الى ايامنا الحاضرة ادرك تمام الادراك ان منع الحكومات للاضراب لم يكن بالسبب الكافي لتلافي وقوعه وردّ ضيره بل ان وازعاً دينياً كان لفعله بالنفوس من وسائل الشدة وهو الذي كان يوحي السكينة ويحبب القناعة ويدفع بصاحب المال الى انصاف اجيره

كانت الاهواء المختلفة والمصالح المتباينة اذا ما طوّحت بالعامل وبصاحب المال وفرّقتهما الى حين لا تلبث ان تقرّب بينهما عاطفة الدين ويجمعهما وازع الضمير . اما اليوم فقد تشتتت الافكار وتبدلت الحال ولم يبقَ بين فريق من الصنّاع والاولياء الا هوة سحيقة مملوءة بالضغائن والاحقاد . قال غوستاف ليبون في كتابه روح السياسة :

« اصبحنا اليوم اذ زالت من الصدور عاطفتا الايمان والشعور الحي لم يبقَ الا الكراهية الوراثية التي يشعر بها الفقير نحو الغني . ان العامل بعد ان فقد الايمان وقلّص شيئاً فشيئاً من أيود الاجتماع ازداد جحوداً وعدواناً وبات يحذو الاباحية بحلم فاحش يعوزه عدده قائم اشد الجبابرة وطأة »

٢ شروط الاضراب

الاضراب من حق العمّال والسماح به من دواعي الحرّية الفرديّة . ولكن أيجوز الأخذ بهذا الرأي على الاطلاق؟ . فاذا حدّدنا الحرية الفردية بانها تنتهي حيث تتعارض مع مصالح الغير اتّضح لنا ان العامل لم يَعُدْ مستقلًّا بادارة شؤونه استقلالًا تامًّا نظرًا للتضامن الاقتصادي السائد في العالم وانه لا يكتسب حقّ الإضراب الّا عند الضرورة القصوى . كما ان المرء الذي يتنزّل عن حقّه للحكومة لتسهر على راحته وصيانة حياته لهُ ان يسترجع هذا الحق ويستخدمه بنفسه في حالة الدفاع الشرعي

ويجمل بنا ان لا نُلقي باللائمة الكبرى على العمّال اذا افرطوا في الاضراب بل نلوم الحكومات التي تشاطرهم المسؤوليّة لانها اهملت الامر ولم تُعِرْهُ الالتفات الكافي فقد كان يجدر بها ان تنشئ معاهد او تقيم محاكم ذات سلطة كافية تضمن لها تنفيذ قراراتها لِيُرْجَع اليها عند وقوع خلاف بين العمّال وارباب المال

وليس من يجهل ان القوة كانت قبل تأسيس المحاكم الحكم الوحيد في فصل الخلاف وان هذه الشريعة لا يزال معمولًا بها عند الدول . فهي لا تنفكّ عن ان تتطاحن وتتقاتل حتى يُضْمَن لها الفوز الحقّ . واذا تعذّر على الدول اقامة محكمة قويّة لفض الخلاف بينها فهل تعجز عن انشاء مثل هذه المحاكم داخل بلادها لتعطي كل ذي حق حقّهُ بدون الالتجاء الى القوة وتمكين عناء النظام ؟

تنحّت الحكومات عن الحيال دون الاضراب بالوسيلة المتقدمة ولكنها قيّدته بقيود تتّفق مع مهمّتها من حفظ النظام وصيانة الحقوق والسهر على راحة البلاد . ومما اشترطتهُ على المُضْربين ان لا يعمدوا الى وسائل العنف والشدّة وان يرغبوا عن الإضرار بصاحب المال كهدم مصنعه او تخريب المُدَد والآلات او الايقاع به . وتقدّمت اليهم ان يلزموا حدود السكينة ويبتعدوا عن المشاغبة والضوضاء وان لا يعرّقوا بالقوة والتهديد استئناف الاعمال من الزملاء الغير كافّين . وتركت لهم الخيار في ان ينصحوا لهؤلاء بالحسنى وإلّا فهي تضطرّ الى التداخل بقوة الجند ومقابلة العنف بالعنف

لم ترُقْ هذه الشروط في اعين فريق من العمّال وهم العمّال الثوريون وعدُّوها تساهلاً من الحكومات وممالأةً منها لاصحاب المال وارباب الصنائع وإجحافاً بحقوقهم فنشروا الدعوة ضد الدولة ونقموا على هذا النظام الحالي ورغبوا في ان يقلبوه رأساً على عقب . وتألّبوا الوطن وتبذوه . ودأبوا في اضرام نار الثورة في الجيش وحبّبوا الى الجنديّ العصيان على قوّاده وعدم اطاعة اوامر ضبّاطه

وانّ ما نذكره من هذا القبيل التمرُّد الذي وقع بين الجنود في ١٨ ايار سنة ١٩١٣ في معسكرات تول وبلفور وماكون ورودز . وقد اقتصّت الحكومة الفرنسية اقتصاصاً شديداً من بعض اعضاء نقابة العمال العامة لاشتراكهم في الفتن

وهناك فريق آخر من العمّال يختلف خطةً ومبدأً عن زملائه المتقدّمين يُعرف بالعمّال المسيحيين . وهذا الفريق اكثر رشداً واشدّ حكمةً واقرب للاعتدال وابعد عن التطرّف . وهم لا يعمدون الى الإضراب الّا بعد امعان الفكر وإعمال الرويّة

وما برحت الكنيسة تهتمّ بامر هذا الفريق المسالم فتُغدق النصيحة وتبذل نحوه العناية حتى يكون قدوةً حسنة لسائر الزملاء . وكان قداسة البابا لاون الثالث عشر وقداسة البابا بيوس العاشر من اكثر الباباوات عناية بهم . وقد تضيق الصحائف الواسعة عن حصر ما وضعا من المبادئ الكريمة ورسما من الخطط الحميدة التي تتفق مع صالح العمال وتراعي جانب الدين . ولنيافة الكردينال بورن الانكليزي مواقف مشهورة يؤيد فيها الإضراب وينا صر العمّال ضمن القوانين المشروعة . ويتلخص برنامج العمال المسيحيين في نبذةٍ نقتطفها من خطاب للاب روتان القاه في نادي الاسبوع الاشتراكي في فرسايل قال :

« الاقرار بشرعيَّة الاضراب لا تحتّم سوى شرطين :

الاول . ان تكون المطالب مقبولة اي قائمة على اساس جوهريّ لا بدّ منه لضمان عيشة رضيّة او اتفاق وقوع حيف فاضح يختص بمدة العمل او بالحرص على امور صحيّة مادّيّة وادبيّة . وان لم يكن هذا او ذاك فلا اقل من ان تبرّر الاضراب حالُ الصناعة الاقتصادية .

والثاني . ان يبرهن العمال على انهم استنفدوا جميع الوسائل المؤدية الى التوفيق وحسم الخلاف . فاذا تحقق الشرطان المتقدمان ووقع الاضراب وقضت الحال إقصاء العمّال الغرباء عن الحلول محل المضربين فاننا لا نستنكر سوى التوسّل بوسائل العنف والعسف »

وهذه شريعة لا يدينُ بها العمال الثوريون وهم يستبيحون جميع الطرق لانجاح

ما عليهم . وبينا نرى ان العمال المسيحيين يبتعدون عن السياسة ولا يضربون الا عند المسائل التي تمس حالتهم الاقتصادية مباشرةً نرى ان الثوريين منهم يدخلون الاضراب في جميع أطوار الحياة من اقتصادية وسياسيةٍ

وقد أضرب العمال الثوريون وقاموا بتظاهرات عديدة عنيفة عندما سنّت الحكومة الفرنسوية قانون الثلاث سنوات للخدمة العسكرية

ولما اشتعلت حرب البلقان الاولى وخيف من امتدادها الى سائر اوروبا اضرب فريق منهم في جميع بلدان القارَّة الاوربية وساروا بتظاهرات كبيرة حاملين الاعلام الثورية وكان مكتوب على بعضها : « اننا نقابل اعلان الحرب بالإضراب العام . الثورة ولا الحرب »

ولما قام المعدّنون الانكليز باضرابهم المشهور في اول اذار ١٩١٢ احبَّ العمال الالمان ان يشدُّوا أزر زملائهم الانكليز فاصدروا امراً بالاضراب العام لمعدّني حوض الرور في المانيا . ولولا تخلّف العمّال المسيحيين عن تلبية الدعوة لكان ذلك الاضراب عاد بأوخم العواقب على العالم . وقد حملت الجرائد الاشتراكيةُ والثوريّة على العمال المسيحيين حملات عنيفة ورمتهم بالجُبْن والرُوق . فقام الهرّ ستيجروَلد السكرتير العام لاتحاد النقابات المسيحية الالمانية يدفع هذه التُرْبة . ومما قاله :

« ان النقابات المسيحية تعدّ الاضراب اول وسيلة للجهاد الاقتصادي فقط وهي ترى انهُ لا يجوز الالتجاء اليه الاّ حيث لا تبقى مندوحةٌ عنهُ بسواه . امّا النقابات الاشتراكية فانها لا تقصرهُ على الجهاد الاقتصادي بل تعتبره ايضاً اداة النضال السياسي وتريد ان تستخدمهُ في سبيل تظاهرات دولية »

٣ آفة الاضراب

قال المسيو ارْوا بوليو : « لا يجمل بالعمال ان يعمدوا الى الاضراب متكرّراً لانهُ يصعب عليهم ان يستفيدوا من نتيجته وان سدّت ما خسروه في خلاله . وكم من حقٍ يؤثر الحكيم اغفاله على التشبُّث به ترجيحاً لمصلحته »

لم ينفرد المسيو لروا بوليو بهذه النصيحة بل اجمع رجال الاقتصاد على تأييدها حبًّا بمصلحة العامل وحرصاً على منفعته . وخير للعمّال ان يعتصموا بالتوفيق (المصالحة) كلما دعت الحال فان هذه الخطة اخفّ مؤونةً واسلم عاقبةً . وقد عُني الاقتصاديون

بحصر الإضراب وتفرغوا لدرس عواقبه فاتفقوا على انهـا تعود بأوخم النتائج على العمال بقطع النظر عن الأضرار الاقتصادية التي تصيب العالم . ومما دلتهم عليه اختباراتهم انه لا بدّ لكل إضراب من ان ينتهي باحد هذه الطرق الثلاثة : فاما فوز واما توفيق واما إخفاق . ولبيان ذلك نورد في بحثنا كشفاً عن احصائيات الاضراب ونتائجه :

كشف مكتب العمل الفرنسوي عن الاضراب

من سنة ١٨٩٧ — ١٩٠٦

اضرب اثناء هذه المدة ١٤٨٨٤٩٧٨ عـاملا وكانت نسبة الذين فازوا منهم بطالبهم ١٢ في المائة . والذين انتهوا بالتوفيق بينهم وبين ارباب المصـانع ٦٢ ٠/٠ والذين اخفقوا اخفاقاً تاماً ٢٦ ٠/٠

واذا اعتبرنا النسبة المئوية المذكورة نسبة لعدد الاضرابات لا لعـدد المضربين كانت :

٣٢ ٠/٠	فوز
٣٩ ٠/٠	توفيق
٣٨ ٠/٠	اخفاق

واحدث الاحصائيات التي لدينا احصـائية سنة ١٩١١ عن فرنسا . ومتوسط الفوز والتوفيق والاخفاق كما يأتي :

النتيجة	الاضراب	المضربون
فوز	١٧,٧٥ ٠/٠	٩,٠٦ ٠/٠
توفيق	٣٥,٩٣ ٠/٠	٣٦,٢٥ ٠/٠
اخفاق	٤٦,٣٣ ٠/٠	٥٤,٨٦ ٠/٠

احصائية سنة ١٩١٢ عن المانيا ومتوسط النتيجة كما يأتي :

النتيجة	الاضراب
فوز	١٦,٥ ٠/٠
توفيق	٣٩,٩ ٠/٠
اخفاق	٤٣,٦ ٠/٠

ولا تختلف احصائيات سائر الممالك عما تقدم

ولتفهم الخسارة التي قد تقع مباشرةً بالعامل نقتبس المثل الذي اورده السير لوروا بوليو الاقتصادي الفرنسي الشهير قال :

« لو فرضنا ان إضراباً استمر شهراً واضاع العامل فيه ثمانية في المائة من أجرة سنته وقدرنا خاتمة الاضراب — هذا اذا حسنت — اكسبت العامل خمسة في المائة علاوة على جعله ان يسترد ما فقده من الفرق الا بعد تسعة عشر شهراً » فتأمل!

ومن آفات الإضراب ان صاحب المصنع قد يستغني احياناً عن العملة اقتصاصاً منهم وتنكيلاً بهم فيستبدلهم باستخدام الآلات التي لا تطلب الا نزراً قليلاً لتحريكها فيقعدون عاطلين عن تحصيل الرزق مستسلمين لتجرّع غصص الفاقة والضنك . فليس يخافى على احد ما في ذلك من جرّ البلاء على صاحب العيلة وعياله اذا كان معيلاً . وقد حدث مثل هذا في مصر عند ما اضرب عمّال السجاير لبضعة شهور خلت واشتطّوا في مطالبهم

ومن آفة الاضراب ايضاً ان يوافق وقت كساد في السوق او بوار في تجارة المصنع فيؤثر رب المال الاستغناء عن عمّاله وتوفير النفقات الطائلة على ان يستجيب مطالبهم ويتكبّد خسارة فوق خسارة . ولا بدّ للمُضربين ان يرقبوا سير الحركة التجارية وحظها من الرواج قبل ان يُقدموا على تعطيل الاعمال وترك الاشغال حتى في اوضح الحقوق جلاء . فشرٌ واحد اهون من شرّين

وقد رأى العمال من الحكمة ان يفاجئوا الاضراب مفاجأة ولا يدعوا اصحاب المال وقتاً يُعدُّ فيه عدّته ويستعدّ لمقابلة اضراب المُضربين بما قد يعود عليهم بالفشل . كأن يستحضر عمّالاً جدداً او يعالج اشغاله بحيث لا تتأثر من الاضراب اذا طال مدة ما . ومن المعلوم ان صاحب المال اقدر على الصبر من العامل الذي تضطره الفاقة الى العودة الى العمل باسرع ما يمكن

٤ واجب الحكومة وقت الاضراب

ليس من ينكر ان الحكومة هي الحارس الوحيد المؤتمن على حفظ الحقوق وصيانة مصالح الجميع بقسط معادل من الانصاف والعدل . ولكن لسوء الحظ

وجدناها تتأثر غالباً بالظروف والحوادث ولا تلتزم الحياد التام ما دام هذا الحياد لا يضرّ بالسكينة والامن العام . فهي كانت ولا تزال تمالئ فريقاً دون آخر . فقد كانت في الزمن السابق تحظر على العمال الاضراب وتهددهم باشد العقوبات ونراها اليوم تؤيدهم في إضرابهم وتدفع لهم الاعانات من خزائن المجالس البلدية اثناء اضرابهم . فهذا العمل لا يتفق مع حيادها مطلقاً فضلاً عن ان المال المودع في خزائن المجالس البلدية هو من مال الضرائب الذي اشترك في دفعه صاحب المال والعامل للقيام بالاصلاح ونفقات الحكومة والدفاع عن الوطن . فلا يجوز والحالة هذه ان يُنفق في غير الغاية التي تُجبى من اجلها

فعلى الحكومة ان تلتزم النزاهة المطلقة ولا تتعرّض العامل وصاحب المال إلّا اذا دعتها الاحوال للسهر على السكينة وصيانة النظام . ويحلق بها ان تنشئ مجالس التوفيق وتخوّلها من السلطان وقوة التنفيذ ما يجعل احكامها نافذة على صاحب المال والعامل وتجعل مهمّتها الحيال دون كل حيف يقع بفريق ما متعمّدة اعطاء كل ذي حقّ حقه . فان فعلت ذلك فقد تتلافى شيئاً من الاضرار الاقتصادية الجسيمة وتموق هبوب تلك الزوبعة القوية التي نرى بخوف ووجل بوادرها وقانا الله من شرورها

حول جزيرة العرب

(تتمة)

للاب لويس شيخو اليسوعي

١ ملوك حضرموت وامراؤها

تعريف حضرموت

سبق لنا بعض القول في حضرموت وموقعها (ص ٢٧) وهي بلاد واقعة جنوبيّ جزيرة العرب بين اليمن غرباً وعمان شرقاً وشمالاً والمحيط الهندي شرقاً . وتجاورها شمالاً الصحراء الكبرى المعروفة بالدهناء ذات الاحقاف الرملية الواسعة وفي شمالها الشرقي بلاد مهرة والشِحر الشهيرة بزراعة اللّبان . وقد ورد في الكتاب

الكريم في سفر التكوين (١٠ : ٢٦) اسم حضرموت (חצרמות) معناه بالعبرانية قصر الموت وهو اسم ثالث اولاد يقطان او قحطان من نسل سام ابن نوح دُعي بذلك لسطوته على اعدائه . ولحضرموت اربعة موانئ على بحر الهند وهي المكلا والشحر وقشم وظفار التي كانت قديماً حاضرة حضرموت وكان للنصارى فيها كنيسة في اواسط القرن الرابع للمسيح . وفي جنوب حضرموت جبال تبلغ اعلى قممها ٢٤٠٠ متر طولاً فيها بعض الحجارة الكريمة كالجزع ولها من المدن الشهيرة شبام وتريم وسيوون وحضرموت . ومن اوديتها في داخلية البلاد وادي دوعن ووادي عمد ووادي حجر . وفيها الواحات المخصبة تزرع نخلاً وسدراً وتبغاً ومرّاً ولباناً وتبغاً فارسياً (تنباك) يعتنون بزرعه اعتناء عظيماً ويصدرونه الى الخارج . ومنهم من يتعاطى التجارة في سواحل العجم وفي جزائر الهند وخصوصاً جاوة وفي افريقية الشرقية . ويرتزق غيرهم بالحراثة والزراعة ورعية المواشي وتربية الخيل

ويسكن حضرموت قبائل من العربان يبلغون ٤٠٠٠٠٠ نفس وهم مشهورون بفظاظة طباعهم وشراسة اخلاقهم وعيشتهم الهمجية وهم ذوو أنفة حافظوا مدة الوف من السنين على استقلالهم في ايام الملوك الصابئة وبني حمير حتى فتح المسلمون بلادهم في اوائل الاسلام فولى عليها الخلفاء من عمالهم

ملوكها وامراؤها

ثم تمت في حضرموت سلطة بعض زعمائها فدعوا يدهم الى الخانها واستقلوا فيها بالحكم فمنهم من اهل السنة ومنهم من اهل الشيعة واستولى الوهابيون على قسم من حضرموت . فترى اليوم في تلك البلاد عدة امراء يدعى بعضهم شيوخاً وبعضهم سلاطين وبعضهم سادة منهم السادة العلوية الحسينية الذين مقرهم في مدينة حضرموت . ومنهم امراء قبائل الواحديين يتملكون على حبان وعزان وبلحاف على سواحل البحر كان سلطانهم في اواسط القرن التاسع عشر احمد بن الحسين فخلعه اهل دولته سنة ١٨٧٢ وملكوا ابنه صالح بن احمد فمات سنة ١٨٨١ وخلفه ابن اخيه عبدالله بن احمد فعزل سنة ١٨٨٥ وتسلطن هادي بن صالح . ثم استقال سنة ١٨٩٢ واسند الملك الى اصغر اخوته السلطان محسن بن صالح وهو

يسكن في شبام وسلطنة على خلاف قبائله اسمية اكثر منها فعلية . والدولة الانكليزية منذ اوائل القرن التاسع عشر لم تزل تتقرب من هؤلاء الامراء والسلاطين وتعقد معهم المعاهدات وتدفع لهم في كل سنة مبلغاً من المال تسهيلاً لتجارتها وتنفيذاً لسياستها ومآربها

٢ عمان وامامة مسقط

في اواسط كانون الاول من السنة ١٨٩٥ رست بنا السفينة في خليج العجم امام حاضرة بلاد عُمان على سواحل جزيرة العرب الشرقية وهي مدينة مسقط من اغرب المدن منظراً لا يُرى منها من المركب سوى صخور مرتفعة كالتلال سوداء بركانية متقطعة الاشكال وبين هذه الصخور بيوت قليلة حديثة البناء منها قصر اميرها ومنازل بعض القناصل الاجنبيين ولا سيما القنصل الانكليزي صاحب الطول والحول في تلك الجهات . اما المدينة فهي محجوبة وراء تلك الصخور يدخل اليها الداخل كانه يلج حصناً محصناً بالاستحكامات الدفاعية

ومسقط هذه لا يعرف من اخبارها في الاجيال الوسطى الا النزر القليل . وانما ذاع صيتها لما استولى عليها البرتغاليون بيد كبير قوادهم ألبوكرك سنة ١٥٠٩ فضبطوها وحكموا عليها الى السنة ١٦٥٨ حيث فتحها السلطان ناصر بن مرشد ولم تزل منذ ذلك الحين في ايدي الائمة والسادة الذين اتخذوها كمركز سلطنة عُمان

وبلاد عمان تمتد على سواحل خليج عُمان شرقي جزيرة العرب بين ثغر مربط الى جزيرة قطر وتلحق بها الجهات الممتدة شمالاً الى انتهى خليج البحرين فطولها نحو الفي كيلومتر وقربها الصحاري الرملية وسلاسل جبال يبلغ اعلاها ثلثة آلاف متر وهي تحصنها من جهات البر حتى لا يكاد يطمع فيها طامع من تلك الانحاء . وتبلغ مساحة بلاد عمان نحو ٤٥٠٠٠ كيلو متر مربع واهلها نحو مليونين ونصف من النفوس . ومناخ عمان شديد الحرارة يبلغ اربعين درجة من القياس المئوي في نيسان وفي بعض جهات عُمان اراضٍ مخصبة واودية معتدلة الهواء . وهم يقسمونها الى ثلاث مناطق مختلفة : الاولى تهامة عمان وهي سهول ضيقة تتسع في بعض الامكنة الى ٣٠ و ٤٠ كيلو متراً . والثانية الباطنة وهي الجهات الداخلية الجبلية مع اوديتها

وهي غنيةٌ بالنخيل وفيها الكروم وضروب الغلات وقصب السكر والبنّ ومن معادنها الرصاص والكبريت والنحاس . ولاهلها حذاقة في رعية المواشي وتربية الخيل والنياق ويكثر السمك في بحرها فيصطاد منهُ اهلها الكميات الوافرة فيتاجرون به قديداً وملّحاً . وفي تلك السواحل مغاصات اللؤلؤ الكثيرة واشهرها في مدن صحار ودمار ومسقط . والثالثة الجبال القاحلة الرملية

لم يصعب على اهل عمان ان يحافظوا على استقلالهم طالما لم يقصد احد فتحها من جهة البحر فلمّا ظهر الاسلام سيّر اليها الخلفاء الراشدون ثمّ الامويون ثمّ العباسيون بعثاتٍ جنديّة فتحتها فتحاً موقتاً ثم رجع اليها اصحابها فتملكوها . وكان الاهلون يختارونهم وعُرفوا منذ ذاك الحين بالأيمّة فحاربوا الخلفا، وبقيت الحرب بينهم متواصلة الى ان ضعفت الخلافة العباسية فصارت الامور في عُمان فوضى فانتهز اعداؤهم المجاورون لهم من العجم من ملوك شيراز ومن ملوك بني نبهان الفرصة لفتح بلادهم والتملك عليها ردحاً من الدهر فاضطرتهم الحال الى توحيد كلمتهم فاختاروا لهم سنة ١٠٣٤هـ (١٦٢٤ م) رجلاً من شرفائهم اسمهُ ناصر بن مرشد من نحلة الباديّين فهذا اذ رأى ما بلغت اليه اوطانهُ من الذلّ انتدب اليه شبانها وفرسانها وجعل يحارب السادة المستقلين في انحاء البلاد فكان الانتصار حليفهُ

ثمّ وجّه قواهُ لمحاربة البرتغاليين الذين كانوا مالكين على سواحل عمان متحصّنين في مراكزها الكبرى كمسقط ومطرح وصحار فلم يزل يناوشهم القتال مرّة بعد مرّة حتى كاد يستأصل شأفتهم . لكنّ موتهُ حال دون تتمة عمله سنة ١٠٥٩هـ (١٦٤٩ م) فقضى مأسوفاً عليه لحسن سلوكه مع الرعيّة

فخلفهُ ابن اخيه سلطان بن سيف فجرى على آثاره واستولى على ما بقي من الحصون للدولة البرتغاليّة في مسقط وسواحل عمان بل جاز الخليج الى الهند وحارب البرتغاليين وغزا املاكهم في مقاطعة كجرات ونهب مدينتي ديو ودامان ورجع بغنائمها . ثمّ اخذ في اصلاح بلاده وتوسيع نطاق تجارتها وصناعتها وتحصين مواقعها المرتفعة لغارات العدو لا سيّما مدينة نزوة . وقد دعاهُ اهل بلاده « سيف الكافه » يشيرون بذلك الى معرفته بعلم الكيميا . توفي نحو السنة ١٦٦٨

ثمّ توالى بعدهُ اثنا عشر اماماً من نسل ناصر بن مرشد كان اولهم بلعرب بن

سلطان (١٦٦٨ — ١٦٨٨ م) جرى بينهُ وبين اخيه سيف بن سلطان حروب داميه كان الفوز فيها لسيف فملك على عمان (١٦٨٨ — ١٧١١) وجعل مقامة في رستاق . ثمَّ خلفهُ ابنهُ سلطان بن سيف الثاني (١٧١١ — ١٧١٨) حارب العجم وانتزع من يدهم جزيرة البحرين وسكن الحزم . ثم ملك مهنا بن سلطان (١٧١٨ — ١٧٢١م) اشتهر بحسن التدبير والسياسة لكنَّ ذوي الفتن لم يرضوا به فقتلهُ يعرب بن بلعرب وحصل بعدهُ اضطرابات مختلفة ومنازعات بين الاحزاب طالت مدتها وفتحت باباً لاعداء الدولة فزحف عليها العجم وتملكوا على عدة اماكن منها نزوة ومسقط ولم تنتهِ هذه الاحوال السيئة الّا بانتخاب الامام احمد بن سعيد فهذا اصلح الامور بحسن سياستهِ وبسالتهِ في محاربة العجم فاخرجهم من البلاد حيناً بالقوة وحيناً بالخداع والمكر فتناصر العمانيّون على توليتهِ وساعدوهُ في حروبهِ فكان النصر معقوداً على راياتهِ . وممَّا يُذكر لهُ من خدمهِ للدولة العثمانيّة انهُ خلّص مدينة البصرة من ايدي العجم سنة ١٧٥٨ وردَّها لاصحابها . وكذلك خرج لمحاربة القرصان الذين كانوا يعيثون في بحر الهند ويقلقون السكّان بغزواتهم

مات احمد بن سعيد فخلفهُ ابنهُ الاصغر سعيد بن احمد (١٧٧٥ — ١٧٧٩ م) وكان محبّاً لاصلاح الامور وتجديدها فلم يَرُق الامر في اعين اهل عمان فخلعوهُ وتركوا لهُ الامامة وجعلوا مكانهُ ابنهُ حامد ودعي بالسيّد ففُصلت السيادة عن الامامة ثمَّ نقل حامد كرسيَّ ملكهِ الى مسقط فأصبحت حاضرة الدولة الى يومنا . توفيَ حامد لاثنتي عشرة سنة من ملكهِ (١٧٧٩ — ١٧٩٢) بداء الجدري في مسقط

ثم قام بعدهُ السيّد سلطان بن احمد (١٧٩٢ — ١٨٠٤) تملك بالدهاء وتفريق كلمة اقاربهِ الطالبين الامر لنفسهم . وفي ايّامهِ شرع الانكليز يطمحون بالنظر الى خليج العجم فعقدت شركتهم الهنديّة معاهدةً معهُ في ١٢ آب سنة ١٧٩٨ سمحت لهم بفتح المخازن والمحلات التجاريّة تحت حراسة بعض الجند على سواحل العجم في بندر عباس وفي مسقط . ومن مآثر سلطان بن احمد توقيفهُ للوهابيّين الذين سعوا في فتح عمان فردَّهم خاسرين . قُتل سلطان في البحر وهو متوجّه الى سواحل العجم فاعترضهُ في طريقهِ بعض القرصان فقتلوهُ

قام بالامر بعدهُ سعيد بن سلطان (١٨٠٤ — ١٨٥٦) فطال ملكهُ واضطرت

الامور في عهده بغارات الوهابيين على عمان بيد انَّ الحملة المصرية في ايام محمد علي انقذتهُ من بلائهم . لكنهم عادوا بعد حين واستولوا على الكثار من عمان . وكذلك اغارت عليه بعض قبائل العرب وضايقتهُ القرصان بحرًا وعصى عليه بعض عماله فاستنجد بالانكليز فارسلوا اسطولاً لنجدته . فعدَّ الانكليز هذه الفرصة نعمة لتمكين نفوذهم في عمان

خلف سعيدَ بن سلطان ابنهُ ثويني (١٨٥٦ — ١٨٦٦) فكانت ايامهُ كثيرة الفتن قدعا الى نجدته الوهابيين ثم الانكليز فزاد بذلك الشغب بدسائس الخوته وتداخل الاجانب . وفي ايامه عُقدت معاهدة بين دولة عمان ودولة فرنسة فنظرت اليها انكلترة شذرًا وحاولت ان تمزقها على قدر استطاعتها . قُتل ثويني ابنهُ سليم فملك بعدهُ سنتين بفضل الانكليز (١٨٦٦—١٨٦٨) لكن كثيرين وقفوا له بالمرصاد الى ان تمكّن احدهم عزّان بن قيس فدخل مسقطاً وفاجأ سليماً الذي تمكّن من الفرار الى جهات العجم . فسعى الدخيل ان يثبّت ملكهُ فساس البلاد ست سنين (١٨٦٨—١٨٧٤) حتى خلعهُ عن ملكهِ بمعونة الوهابيين تركيُّ بن سعيد (١٨٧٤—١٨٨٨) وتولّى مكانهُ . ثم قام بعدهُ السيد فيصل بن تركيّ . وهو الذي وجدناه في مسقط يوم مرورنا فيها في اواخر سنة ١٨٩٥ فكان كالاسير في قبضة الانكليز ليس له من الامر سوى تشرته وطالت ايامهُ فتوفي في تشرين الاول سنة ١٩١٣ فخلفهُ في السيادة على مسقط نجلهُ السيد تيمور وهو اليوم صاحب الامر فيها . وجاء في مجلة لغة العرب (٣ : ٢٧٩) انهُ انضوى الى العثمانية قبل ملكه بسنتين

٣ الكويت وشيوخها

قد افادنا حضرة مكاتبنا السابق الاب انستاس الكرملي الخاني سنة ١٩٠٩ (المشرق ٧ : ٤٥٠ — ٤٥٨ و ٥٠٧—٥١٢) من وصف الكويت بعد اتساعه في تعريف موقعها واصلها ومعاشها وتجارتها وما يتبعها من القرى ومغاصاتها اللؤلؤية . فبقي علينا ان نورد لمحةً من تاريخها وذكر شيوخها

كان الاتراك يعدُّون الكويت كقضاء من اقضية ولاية البصرة وهي على ساحل بحر العجم على ١٢٣ كيلو مترًا منها جنوباً وعلى ٨٢ كيلو مترًا جنوبي غربي حصن

فاو حيث يصب شط العرب في البحر العجمي . والكويت حديثة النشأة قليلة الاتساع لا يزيد اهلها مع القرى اللاحقة بها عن ٣٠٠٠ بيت ونحو ثلاثين الفاً من السكان يرتزق اهلها بالزراعة والفلاحة ورعاية المواشي والغوص على اللؤلؤ

ومع وقوع الكويت ضمن الولايات التركية فانها تعد كبلاد مستقلة منذ أيام مدحت باشا اذ ساعد الشيخ عبدالله الدولة العثمانية في إخضاع سنجق نجد لحكم الاتراك

والشيخ عبدالله هذا من أسرة عربية تعرف بآل صباح قديمة شريفة . استلفتت اليها انظار الدولة منذ أيام جده الشيخ جابر الصباح وكان يحكم على قبائل العرب في جهات شط العرب ثم خلفه ابنه الشيخ الصباح فعني بتحصين الكويت وجعلها له مركزاً مناسباً لمقامه فشيد له فيها قصراً سكنه . ثم خلفه عبدالله بن الصباح المذكور فمنحته الدولة التركية قائمقاماً على الكويت براتب معلوم وكان مع ذلك يتصرف في مأموريته تصرف السيد المستقل فلا تعارضه الدولة وانما تكتفي بان يعيش في ولائها

ولما صار الامر بعد وفاة عبدالله الى صاحب الكويت الحالي وهو مبارك بن الصباح حولته الدولة لقب الباشا وسعت بان تستميله الى اغراضها وتعامله معاملة العمال . الا ان الشيخ مباركاً لم يلب دعوتها وانس من الانكليز التودد والمجاملة فمال اليها واستند الى قوتها . فقصد الاتراك ان يصطادوه بالدهاء والعنف فلم يقووا عليه وكان اذا حاولوا الضغط عليه رفع العلم الانكليزي فتتطاير الجيوش البريطانية للدفاع عنه ويناله من كرمها المال الطائل فأصبح في يده الحل والربط والحكم المطلق . ورد غارات القبائل المجاورة ولاسيما قبيلة مطير . وقد عني بتدريب الكويت بالباقي على الطراز الحديث واتخذ له جنوداً لخدمته وكلية الناشئة . ولما انتشبت الحرب العمومية الاخيرة اتفق شيخ الكويت مع عبد العزيز بن سعود وسلطان الحجاز شريف مكة على محاربة الاتراك وقد جعل ابنه جابراً على نظر اعمال مدينته الداخلية وخص نفسه بامورها الخارجية وكان حالف سابقاً الوهابيين لرد غارات ابن رشيد الذي كان يتهدد الكويت وتعضده سراً الدولة التركية فارسل شيخ الكويت احد ابناء سعود وهو عبد العزيز بن سعود الى رياض لمحاشرة ابن رشيد فشمر هناك

العَلَم الوهابي الابيض والاحمر وكاد مبارك بن صباح يغلب ابن رشيد على الحائل لولا امدَّته به الدولة العثمانيَّة من الجند والذخائر

على انَّ تقرُّب مبارك بن صباح الى الدولة الانكليزيَّة قد اصبح اليوم خطرًا على دولته الصغيرة التي تطمع فيها انكلترة حاضرًا تدخلها في املاكها

هذا وفي العراق في ولاية البصرة وجوار شط العرب عدة قبائل يحكم عليها شيوخ يغلب عليهم الاستقلال كالشيخ خزعل صاحب المحمَّرة وعجمي بك السعدون رئيس عرب المنتفق وغيرهما . والدولة الانكليزيَّة ساعية اليوم في كسر شوكتها ودفع مضارّها ومنع غزواتها . ولا شك انها تقوى عليها بسياستها المعهودة . ونختم هنا مقالتنا هذه مستميحين عذرًا عمّا وجده القرّاء فيها من الخلل . والكمال لله وحده

اعظم طامَّة في الحرب العامَّة

نظر اجمالي في الحرب الاوربيَّة الاخيرة للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

٩ ايطاليا

كلّ يعلم انَّ ايطاليا كانت احدى الدول المحالفة لالمانية منذ سنة ١٩٠٢ وثالثة التحالف الثلاثي تربطها مع محالفيها روابط معاهدة تضمن لهم بموجبها المساعدة في الدفاع دون الهجوم . فلمَّا اعلنت المانية الحرب على فرنسة لم ترَ الحكومة الايطالية داعيًا للنزول في ساحة القتال لحكمها بالصواب انَّ الحرب هجوميَّة لا دفاعيَّة فصرَّحت في ٣ آب ١٩١٤ ببقائها على الحياد . وكان ذلك بعناية خاصة من الله اذ امكن الكنيسة ان تجمع في مساحة الكثلكة كرادلتها من سائر الممالك وتقيم قانونيًّا خلفًا للطيب الذكر البابا بيوس العاشر المتوفى في ٢٠ آب فوقع اختيارهم على تدلئة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر الملك سعيدًا . وكان معظم الشعب الايطالي مؤمّلًا انَّ دولتهم ستثبت على حيادها الى آخر الحرب

فما اعظم ما كان اندهاش العالم اذ اعلنت الانباء البرقيَّة في ٢٣ ايّار سنة ١٩١٥ بان ايطالية قطعت علاقاتها مع حلفائها وانضمت الى دول الاتفاق فبثَّت جيوشها في المقاطعات النمسويَّة

فكان لهذا العمل اسوأ وقع في دولتي النمسة والمانية وعدّوا ذلك خيانةً محضة فقبّحوه اشدّ التقبيح وكذلك كثر القال والقيل بين الدول المتحايدة حتى بين اصحاب ايطالية فنسبوها الى الانانيّة والمطامع . لكنّ ايطالية تنصّلت من هذه الشكايات في كتابها الاخضر حيث بيّنت ان الدول المركزيّة لم تُشعرها بوقوع الحرب كأنها لا تبالي بها وانها بُخست حقوقها في البلقان حيث استولت النمسة على صربيةٍ ومدّت يدها الى البانية دون ان تعطي ايطالية التعويضات الموعودة بها والتي اقرّت بها المانية نفسها . فلمّا الحّت ايطالية في سؤال حقوقها وطلبت ان تُعطى تريستة وبعض المقاطعات النمسويّة جعلت النمسة تسوّفها وتماطلها وتعدها المواعيد الفارغة ودامت المخابرات بين رومية وفينّة اشهراً دون نتيجة حتى عيل صبر ايطالية فقلبت وقتئذٍ ظهر المجن لحليفتيها وعدلت الى الدول الاتفاقيّة لتنال ما لم تنله من حليفتيها

اجتازت ايطالية في هذه الحرب اربع مراحل هامة تقلّبت فيها امورها تقلباً عظيماً :

كان الطور الاول طور نشاط وتحمّس عظيم وكان الشاعر غبريال دَنُنْتزيو يبعث الهمم بقصائده الرنّانة فاندفعت الجيوش الايطاليّة كالسيل الجحاف في مقاطعات ترنتا وقصدها خرق الخطوط الدفاعيّة والاستحكامات الحريزة التي اقامتها النمسة على طول جبل ايزونزو فتمكنت في عدّة امكنة فيها واستولت في ٦ ايلول على جبل نيرو (اي الاسود) ثمّ واصلت حملاتها الظافرة في فصلي الصيف والخريف تحت قيادة كبير قوّادها الجنرال كدورنا . وانتهت في ٧ تشرين الثاني باستيلائها على مشارف كرديفوني ومضايق لاتنا على علوّ ٢٤٠٦ متراً فوق سطح البحر رغماً عمّا وجدته في طريقها من فيالق العدوّ البالغة مليوناً من الجند والموانع العديدة التي كبّدتها خسائر فادحة حتى اقرّ العالم للايطاليين بالبسالة وصدق البلاء في الحروب بعد ان كانوا ينسبونهم الى الضعف والفشل . وفي غرّة كانون الاول صادقت ايطالية على معاهدة لندن وقررت ان لا تقبل صلحاً منفرداً

امتدّ الطور الثاني على ايطالية من اوائل السنة ١٩١٦ الى شهر تشرين الثاني منها . خمدت نوعاً حركة الجيوش الايطاليّة في شتاء هذه السنة لكنّها في اوائل الربيع نهضت اليها نهضةً ثانية بخيلها ورَجْلها وعددها وعُددها الضخمة وزادت الايطاليين نشاطاً حاجةُ النمسا الى قسم من جيوشها لمحاربة المسكوب في غاليسية

فتقدم الايطاليون الى الامام وتوغلوا في البلاد متحصرين مرارا على النمسويين حتى نزل قائدهم كجراد فون هوتسندورف واقيم مقامه الارشيدوق فردريك واعادوا الفيالق الموجهة الى غاليسية · على ان الايطاليين لم توقفهم هذه التعيلات فلم يثنوا عزمهم في الهجوم حتى دخلوا مدينة غوريتزيا المحصنة في ٩ آب ١٩١٦

وفي ٢٧ منه اعلنت ايطالية الحرب على المانية وسارت جيوشها الى جبال كرسو التي تحول دون الطريق الى تريستة فلم تزل تناجز القتال الجيوش التي جمتها النمسة فيها وتحمل على حصونها المنيعة حتى مهدت لها الطريق الى تلك الحاضرة غاية مبتغاها لولا ان العدو تسارع الى قمم هرماد الباقية من جبال كرسو وعبى فيها معظم جيوشه وحشنها بكل الاستحكامات وضروب الادوات الحربية فرأى الجنرال كدورنا ان محاربتها تستدعي ضحايا عظيمة فاخذ يعد لها وسائل اخرى لنصرة جنده

وبهذا تمت المرحلة الثانية للحرب الايطالية التي اكسبت دولتها قسماً كبيرا من معاملات ترنتا واوقعت في يدهم نيفاً ومئتي الف اسير وذلك قبل ان تستدعي ايطالية جيوشها الاحتياطية

الطور الثالث لحرب ايطالية تناول السنة ١٩١٧ باسرها على التقريب فابتدأ بانتصارات متوالية اخصها انتصار جامباتو في ٢٣ ايار الذي كاد يكون الضربة اللازبة على النمسويين حيث تمكنت الجيوش الايطالية من جبلي كوكو واورتيغاغا

كانت هذه الانتصارات تبعث في قلوب الايطاليين الامل على قرب نهاية الحرب ودخول جيوشهم الى تريستة لكن في تلك الاثناء حدث انقلاب روسية وعقدها الصلح المنفرد مع المانية فكانت نتيجة ذلك ان المانية والنمسة سحبتا قسماً كبيرا من جيوشهما فوجهتاه الى محاربة الايطاليين الذين لم يستطيعوا مقاومة هذا العدد الضخم من قوى العدو فذهبت بجمهم وانطروا الى رجوع القهقرى وكانت اعظم كسرة اصيبوا بها في كابور تو شمالي غوريتزيا بددت شملهم وسببت فتح سهول بلاد البندقية امام الدول المركزية

الشوط الرابع يمتد في كافة السنة ١٩١٨ الى اوائل تشرين الثاني · كانت غلبة كابور تو تسحق ايطالية سحقاً وتلاشي كل آمالها فان عدد القتلى والجرحى والاسرى اربى في تلك الوقائع على نصف المليون · واراد العدو ان يانتفع من نصره باقتحامه

على كلّ بلاد البندقيّة فاغار على فلول العساكر الايطاليّة فقتل واسر ودمّر ما شاء. الّا انّ فرنسة وانكلترا لم ترضيا بان تُسحق حليفتهما فاسرع ارباب الامر واتفقوا على انقاذها من بلائها فارسلوا عدّة طوابير من جنودهم ليأخذوا الطريق على جيوش العدوّ ثمّ اقاموا لقيادة الجيوش الايطالية العامّة احد نوابغ الحروب الجنرال المولّد دياز وحدّدوا معه طريقة العمل ليتصدّوا للجيوش الالمانيّة والنمساوية

لكنّ هذه التدابير لم تتمّ الّا في خاتمة السنة ١٩١٧ واوائل ١٩١٨ بعد ان فقدوا قسماً عظيماً من الجند والذخائر واطراف البلاد فتحصّنوا امام شرّة العدوّ عند نهر بياڤي ومشارف جبال غرابا فتمكّنوا فيها وحصّنوها تحصيناً متيناً فيئس العدوّ من قطع خطوطه فارتدّ خاسراً في ربيع السنة ١٩١٨ ثمّ احسّ الالمان بحرج الحال في الجهات الغربيّة واستدعوا قسماً من عساكرهم المحاربة في ايطالية الى جهات فرنسة لكنّ النمسويين زادوا قواهم واستعدّوا لمهاجمة عموميّة تفتح لهم طريق مدينة البندقيّة وتظفرهم بمغانمها المخصبة

فعرف الاتحاديّون ما قصده العدوّ فشمّروا عن ساعد الجدّ واتّخذوا كلّ الاحتياطات لردّ غاراتهم. ففي ١٥ حزيران لمّا افتتح النمسويّون الهجوم بمدافعهم الضخمة وبطاريّاتهم ثمّ اخذت فيالقهم تزحف الى الامام من كلّ صوب ربوات ومئات الوف وهم يؤكّدون انهم ظافرون لا محالة. وكان الملك شرل حاضراً يتعهّدهم بشخصه ومثله. ودامت هذه الحملات ثمانية ايام دون انقطاع ظنّ ناظروها انّ القيامة قامت بكل اهوالها. على انّ الاتحاديين ثبتوا لها ثبوت البناء المرصوص وأبلوا احسن البلاء في كسر شباتها. وساعدهم على ردّ تلك الغارات انّ نهر بياڤي طغى في تلك الاثناء فكان طغيانه موافقاً لحركات الايطاليين وحلفائهم فذهب فيه الوف من جند العدوّ غرقاً. قيل انّ النمسويين خسروا في ذلك الاسبوع نحو ٢٠٠٠٠٠ جندي قتلاً او اسراً

ثمّ هدأت المعارك الدامية مدّة ما عدا المناوشات البسيطة الى شهر تشرين فاستعدّ هذه النوبة الايطاليّون مع حلفائهم الى هجوم نهائي يتوّج هامهم بغار النصر فلمّا كان اليوم ٢٧ من تشرين الاوّل حملوا على النمسويين كالشاهين فقاتلوهم قتال السباع ثمّ كرّوا عليهم الزحف ولم يدعوهم ان يتنفّسوا واستمرّ ذلك عشرة ايام متوالية كان آخرها الرابع من تشرين الثاني مزّقوا فيها شمل العدوّ كلّ ممزّق وساروا الى مدينتي ترنتا

وتريستة فدخلوهما ظافرين فعمّ الفرح ايطاليا بأجمعها وابلغهم الجنرال فون ارتز طالباً الهدنة باسم دولته فلم تُعطَ له الّا على شروط قاسية اضطرّ الى قبولها شاءَ ام أبى . وكانت الثورة وقتئذٍ هائجة في النمسا والملك شرل ناجياً بنفسه من معرتها

ومن المعلوم انّ ايطاليا قد نالت من هذه الحرب بلاداً واسعة واملاكاً رحبة ما عدا نواحي ترنتا واصقاع التيرول منها عدّة جزائر معتبرة كرودس ومعاملات مهمّة في البانية والاناضول . وقد صارت لها السيادة التامّة على بحر الادرياتيك

١٠ اميركا

لم يَبْدُ في خلد الاميركيين ان يدخلوا في الحرب العموميّة وهم يجدون في حيادهم مصادر ثروة اقتنهم لزمن طويل فان الولايات المتحدة كانت قدمت للدول المتحاربة من الذخائر الحربية وغيرها ما تبلغ قيمته ٥٣ مليارا من الفرنكات . وكان الالمان ينظرون الى رئيس الولايات المتحدة لما ضاقت الدنيا في وجوههم مؤمّلين بتوسّطه « صلحاً ثانياً » اي موافقاً لغاياتهم . وصرّح الرئيس ولسون في نادي الشيوخ انّ هذه الحرب ينبغي ان تُختَم « بصلح دون انتصار » (كذا)

على انّ الظروف قلبت افكار اميركا فانّ اهلها استاءوا كلّ الاستياء لمّا اغرقت نوّاصة المانية الباخرة لوسيتانية في ٧ ايار ١٩١٥ هلك فيها غرقاً عدد عديد من اعيان اميركا . ثمّ احتدموا غيظاً وجنحوا الى الحرب مدفوعين بعواطف الانسانية والشرف وذلك بعد ان وافق القيصر غليوم اركان دولته على حرب النوّاصات العميا ليضرب كلّ المراكب الدوليّة لا يستثني منها الدول المتحايدة نفسها . فكان لهذه السياسة الخرقاء اسوأ وقع في قلوب العموم وقبحها على الخصوص الاميركيون لما عرفوا به من الأنفة وصيانة حرّية الامم

وما لبثت هذه المقاصد السيئة ان اثّرت بثمرتها المفاسدة . فان الرئيس ولسون قطع اولاً في ٣ شباط كلّ علاقات رسميّة مع الدول المركزيّة ولمّا تكرّرت مساوئ النوّاصات اعلن الحرب رسمياً على المانيا في ٢ نيسان ١٩١٧ . وبعد قليل اقتدت البرازيل ومعظم الولايات الاميركيّة الجنوبيّة باميركا الشمالية فاصبحت الحرب منذ ذلك الحين حرباً كونية تشمل العالمين القديم والحديث . فندم الالمانيون على

قطعهم ولكن لات حين ندم

وباشر الاميركيون الحرب كما يباشرون امورهم كلها بسرعة واهبة عجيبتين فانهم للحال فرضوا بالتجنيد الالزامي على كل المواطنين فبلغ الاكتتاب في ٥ حزيران عشرة ملايين من الجند جهزوا قسماً كبيراً منهم بكل الادوات الحربية والذخائر واجازوهم فرقاً فرقاً وفيالق فيالق الى فرنسة حيث قام الجنرال جوفر بتمرينهم على كل الفنون الحربية . فرجحت مذ ذاك كفة الميزان الى جهة الاتفاقيين . وبلغ عدد الجنود الاميركية المحاربة في اواخر تلك السنة ١٤٢٨٠٠٠ تولوا ساحة الوغى تحت قيادة الجنرال برشنغ يحاربون العدو مع الامم الاتفاقية جنباً لجنب ببسالة نادرة كأن النخوة الفرنسوية تجسمت في اشخاصهم فامتزجوا بزملائهم امتزاج الماء بالراح وكأن الاميركيين اجمالاً ارادوا ان يشكروا في هذه الحرب فرنسة على مساعدتها لهم سابقاً في نوال استقلالهم

لسنا نتتبع مواقف الجنود الاميركية لوصف مآثرهم الطيبة في سنة الحرب الاخيرة وغاية ما يقال انهم احرزوا لهم فيها مجداً مؤثلاً فلم يدعوا معركة مهمة الا شاطروا النصر اصحابها في الساحات الغربية في شمالي فرنسة وبلجكة ولاسيما في الغارات الاخيرة التي كسحت كل قوات المانيا وحليفاتها في شهور الخريف من السنة ١٩١٨ (ايلول — تشرين الثاني) فعادوا الى اوطانهم مكللين بالظفر ومدونين على صفحات تاريخ بلادهم ذكراً مخلداً لرقيهم واريحية طباعهم

على ان الرئيس ولسون مع ما افاد من الخدم للدول المتحالفة فكر نوطاً صفاء بجدوى التاعة من التقارير الملتبسة في تحرير الامم وتحريرها الاستقلال . فنتج عن ذلك نتائج وخيمة بعثت المطامع الاشعبية في القلوب وهددت الدنيا بالحراب نجانا الله من عقابيل هذه الحرب الطاحنة فانها تنذرنا بويلات ومصائب اشد وامر من الحرب

هذا ومعلوم ان دولاً اخرى غير التي ذكرناها دخلت ايضاً في الحرب مع الدول الاتفاقية كاليابان والصين والبرتغال والبرازيل وغيرها من دول اميركا الجنوبية بيد ان اعمالها كانت محصورة في دائرة ضيقة لم تأت من الاعمال ما يستحق ذكراً خصوصياً وانما ساعدت بانضمامها الى الاتفاقيين على احتلال مستعمرات الدول المركزية وضبط بواخرها ومراقبة حركاتها خارجاً عن اوربة . وبه نختتم هذه المقالة ملتمسين منه

تعالى ان يعيد السلام للعالم ولا يرينا ثانية حرباً مثلها بجوره وحتعه

مطبوعات شرقية جديدة

MATERIALS FOR THE STUDY OF THE BABI RELIGION compiled by **Eduard G. Bronne.** *Cambridge*, 1918, *in—12*, *pp. XXIV—380*

معلومات لدرس المذهب البابي

هذه الثلاثون سنة يكتب مجدُّ العلّامة المستشرق ادوار براون استاذ اللغة العربيَّة في كليَّة كمبردج في درس المذهب البابيّ فابرز فيه عدَّة كتابات سبق لنا وصف بعضها . وفي مدة الحرب الاخيرة تمكَّن من جمع مآثر جديدة منها عربيَّة كتاريخ البابيين لميرزا محمد جواد القزويني ومنها فارسيَّة نثراً ونظماً يبلغ عددها احد عشر اثراً فنقل كل ذلك الى الانكليزيَّة وحشاهُ بالشروح التاريخيَّة والادبيَّة تسهيلاً لمطالعتهِ وختمهُ بفهارس غاية في الاتقان . فنشكر جناب الاستاذ على هذا العمل الجديد الذي يزيدنا علماً في تلك البدعة الغريبة وهي احدى ثمرات بلاد العجم حيث كثرت الشيع منذ اوائل الاسلام . والبابيَّة كما لا يخفى تنتسب الى السيد علي محمد الشيرازي الذي دعا نفسهُ بالباب اي الطريق لمعرفة الحق سنة ١٨٤٤ وتبعهُ قوم من مواطنيهِ . فقبضت عليه الدولة العجميَّة وامرت بقتلهِ سنة ١٨٥٠ . ثمَّ خلفهُ في نشر تعاليمهِ عدَّة رجال أثاروا عليهم الحكومة بتحزّبهم عليها ومحاربتهم لها وتعاليمهم المنافية لأصول الاسلام . وقد انقسمت البابيَّة الى قسمين بين الاخوين ميرزا يحيى نوري المعروف بصبح الازل الملقَّب بالباب في قبرس وميرزا حسين علي المعروف ببهاء الله الذي توفي في عكّا سنة ١٨٩٢ فخلفهُ ابنهُ البكر عباس افندي المسمَّى عبد البهاء والملقَّب بالغصن الاعظم . وهذا الفرع اشيع من الاوَّل وقد لفَّق نوعاً تعاليم البابيَّة واخذ من الاسلام والنصرانيَّة بعض التعاليم الادبيَّة وانكر كثيراً من معتقداتها فثار عليهِ بعض اهل السنَّة والشيعة معاً . وقد اخذنا العجب من مقالة ظهرت آخراً في جريدة (La Syrie) لم يخجل كاتبها بان يعظّم هذه البدعة ويقابل بينها وبين الدين المسيحي وقد ردَّت عليهِ جريدة البشير

ل . ش

PETER THOMSEN : **Systematische Bibliographie des Palaestina Literature,** Bd. III. 1916, Leipzig, Hinrichs, xx-387

الجزء الثالث من قائمة المطبوعات عن فلسطين

وصفنا الجزئين السابقين من هذا المجموع الفريد الذي ضمّنه جامعة السيو بيتر تومسن كل ما وقف عليه من المطبوعات عن فلسطين منذ ظهور فن الطباعة في كل اللغات الاوربية الشرقية فتكلّف في تأليفه عناء لا يوصف. وهذا القسم الثالث هو ختام ذلك العمل الخطير يشمل المطبوعات التي برزت منذ السنة ١٩١٠ الى ١٩١٦ ويحتوي ٤١٤٨ عدداً في ٣٣٦ صفحة مع فهارس للأعلام المذكورة. وكفى بهذا دليلاً على همّة الجامع ومن ساعده من العلماء في عمله فنكرّر عليه شكرنا ونحضّ محبي تاريخ سوريّا وفلسطين على اقتناء تأليفه ل. ش

CONSTANTIN PHOTIADES : **La Victoire des Alliés en Orient** (15 Sept. – 15 Nov. 1918) *Paris, Plon-Nourrit*, 1920, *pp.* 247, *avec 8 gravures et 3 Cartes*

نصرة الحلفاء في الشرق

هي النصرة التي فاز بها الجنرال فرنشه دسبيري في مقدونية في ١٥ ايلول سنة ١٩١٨ وتعرف بنصرة دوبروبولي (Dobropolje) وهو جبل كان البلغار منذ ثلث سنوات حصّنوه تحصيناً لا مثيل له حتى اثبت كلّ من رآه انه لا يُرام خطاياته غير انّ الفرنسويين ابدوا ممّن تنثني عزمهم العقبات والمشقات فاتيهم بأيام قليلة فعلوا ما لم يفعله غيرهم بعدة شهور. والحق يقال انهم في هذه الحرب العمومية أنسوا اعظم ابطال العصور الماضية. والكتاب الذي نحن في صدده تقرى برهاناً على ذلك كتبه احد اليونان مقرّاً للفرنسيس بالسباق على كلّ من سواهم في البأس وآداب الحروب. وهذه شهادة البرنس الكسندر وليّ عهد صربية في انتصار دوبروبولي كتبه ثلاثة ايام بعد وقوعه :

« قد تمّ على ابطال الفرقة الفرنسوية ١٢٢ والثانية والعشرين يوم واحد ما اعدّه البلغار من التحصينات الهائلة منذ ثلاث سنوات وصف في مشارف سوكول ودوبروبولي ... فهذا النصر العجائبي الذي تمّ [illegible] عظمته يد الجنود الفرنسوية من الفضائل العسكرية الفرنسية انما اضافت صفحة جديدة غالية في البهاء الى تاريخ الجندية الفرنسوية المجيد » ل. ش

كتاب الاكتشاف الثمين لاطالة العمر مئات من السنين

تأليف الدكتور لويس بري صابونجي ، طُبع في نيويورك سنة ١٩١٩

الدكتور لويس بري صابونجي هو القس لويس صابونجي الذي عرفهُ اهل بيروت قبل خمسين سنة اذ كان يحرّر النحلة ثمَّ تقلّبت بهِ الايام الى ان صار في خدمة السلطان المخلوع عبد الحميد وولي عهده . وقد ذكرنا سابقاً ديوانهُ . وهذا الكتاب الجديد من جملة فكاهاتهِ يدَّعي فيهِ اكتشاف الوسائل لاطالة العمر مئات من السنين وذكر ما حاول بهِ الاطباء والعلماء لاطالة الحياة وتجديد الشباب منذ قديم الزمان الى يومنا وعدَّد بعض من عمَّروا العمر الطويل . وقد قسم كتابهُ الى اربعة وثلثين فصلاً دعاها فكاهات وكفى بالاسم دليلاً على ان المؤلف يحاول المزح اكثر منهُ الجد وقد احسن بقولهِ في آخر كتابهِ انَّ الموت احد نواميس الطبيعة التي لا بدَّ منها لكنهُ لساء بشكهِ عن مصير الموتى الى حساب وثواب وعقاب(ص ٢٥٣–٢٥٤) وكل هذا مما يستدعي اعتبارهُ ويولي الخوف قلوب الابرار فضلاً عن الاشرار ل . ش

فاذا رميت أصابني سهمي

مفكرات وصفحات مطويّة لشبلي افندي ملّاط (ص ٣٢)

رمى بعض اللبنانيين في المهجر جناب كاتبنا وشاعرنا الوطني شبلي افندي ملّاط بسهام الملام لمجاملتهِ الحكومة التركيَّة في ايام الحرب فاقتضى عليهِ الامر ان يدافع عن تصرُّفهِ بهذه الكرَّاسة فبيَّن باصدق الكلام ما صارت اليهِ احوال البلاد في تلك الحقبة وما احاق بهِ خصوصاً من اخطار النفي والمصادرة بل الإعدام فلا يؤخذ عليهِ ان احتاط لنفسهِ فمدح مكرهاً ارباب الامر واصاب لديهم حظوة . على انهُ توسَّل بتقرُّبهِ هذا من السلطة الحاكمة خدمة كثيرين من مواطنيهِ لاسيما الفقراء والارامل والاكليريكيين هذه خلاصة تلك المفكرات فما هاتقطع ألسنة العاذلين ل . ش

رسائل الشيخ ابراهيم اليازجي وديوانهُ التاريخي

عُني بنشرها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب

طبعت في مصر سنة ١٩٢٠ (ص ١٣٦)

هذه مئة رسالة ومئتا تاريخ لفقيد اللغة والأدب الشيخ ابرهيم اليازجي احسن بجمعها

ونشرها يوسف افندي توما البستاني لئلا تأخذ يد الضياع تلك الآثار الادبية فيستفيد منها الكتبة وطلبة المدارس على ان الرسائل مع رشاقتها وبلاغة معانيها وانسجام عباراتها كلها مسجعة كثيرة التأنق فلا تنطبق على سذاجة الكتابات العصرية حيث تظهر العواطف الفطرية دون تصنع . ولا ريب ان للشيخ المرحوم بقايا من هذا الجنس وقفنا على البعض منها فنؤمل ان تنشر كغيرها . ونأخذ على متولي طبع الرسائل انه اهمل تاريخها وهذا غلط لان تاريخ الكتابات يكشف القناع عن عدة فوائد . اما التواريخ الشعرية فجامعة بين حسن النظم وجودة المعنى رحم الله ناظمها

الاشتراكية

تأليف نقولا حداد

طُبع في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٢٠

الاشتراكية اسم غامض المعنى اخذ ينتشر في الشرق بعد ان كان محصوراً في البلاد الغربية . وقد يستطيب فحواه العمال واصحاب الصنائع وكلّ من يرتزق بكدّ جبينه اذ يرون به نجاتهم من استبداد اولياء الامور وذوي الثروة . ولا شك انّ في الاتحاد والتضامن بين العملة واصحاب الحرف والخدمة وسيلة تنقذهم من اضرار السلطة المطلقة التي لا تعتبر الضعيف وتسحقه بقوّتها القاهرة . لكنّ الاشتراكية كما هي شائعة اليوم في كثير من البلاد تتجاوز كلّ الحدود وتطمع في امتيازات لا حقّ لها فيها وازمّتها غالباً في ايدي بعض الشاغبين والمهيّجين الذين يتجاوزون كلّ حدود الانصاف ويخدمون اغراضهم وامورهم الخاصة . وهذا الكتاب الذي أُرسل للمشرق يحتوي كثيراً من مبادئ الاشتراكيين الفاسدة فلو اردنا تفنيده باباً باباً لاقتضى ردُّنا الصفحات الطوال . فنعدُّ اذن هذا الكتاب من التآليف المضرّة التي تهيّج الاهواء وتثير المطامع بما يعود ضررها على العملة انفسهم ل . ش

شذرات

﴿ تنصُّر الامراء السعيين الشابين ﴾ كما قلنا في المقالة المدرجة في العدد

السابق ان يفيدنا القرّاء الكرام مـا يعرفونهُ من تنصُّر الامراء الشهابيين واللمعيين فلبّى دعوتنا حضرة الخوراسقف الشهير بطرس حبيقة فكتب لنا ما نرويه بحرفه :

انَّ اولاد الامير نصر مراد اللمعي من المتين تنصَّروا بواسطة المثلث الرحمات المطران بطرس كرم البسكنتاوي رئيس الطائفة ببيروت الذي انفذ اليهم شقيقه الخوري يوسف ابا كرم رئيس كهنة بسكنتا فلقَّنهم مبادئ الايمان المقدس وعمَّدهم كلهم . وحكاية ذلك هو ان اصغرهم الامير يوسف بعد وفـاة والده ذهبت به امّه ولا بنت الامير عثمان من آل فارس اللمعي الى بسكنتا واقامت في بيت ابيها وبما انها كانت مارونية عمَّد ولدها الطفل المرحوم الخوري يوسف كرم شقيق المثلث الرحمات المطران بطرس كرم الآنف الذكر — ثم ذهب الخوري يوسف الى المتين بامر اخيه المطران وعمَّد الامير سلمان وابنهُ الامير فـارس والامير موسى وولديه الامير احمد والامير اسعد . وكان كفيل (عرّاب) الامير سلمان واخيه الامير موسى النسيب الاكبر المطران بطرس كرم . وعمَّد الامير احمد وكان كفيله : بشاره صالح البجعاني شماس المطران . وعمَّد الامير فارس وكفلهُ الخوري نقولا ابو سليمان من المتين . وعمد الامير اسعد وكفله الشيخ عقل شديد . وعمَّد في الوقت عينه السيدة هند شقيقة الاميرين سلمان وموسى قرينة الامير منصور مراد واختها السيدة هند قرينة الامير فارس ابن الامير سلمان واختها السيدة زهر والسيدة نسب قرينة الامير موسى فعمدهم كلهم الخوري يوسف كرم البسكنتاوي في ١٣ ك ١ ١٨٣٥ في كنيسة مار جرجس في المتين وكان ذلك اليوم موسم الافراح لم تشهد مثله قصبة المتين

تنصَّر الامير مراد ابن الامير شديد مراد الى اللمع وتبع الطقس المـاروني وتزوج ابنة الامير طرودة فارس من بسكنتا (بنت امرأة آل فارس في بسكنتا) . وبعد ان ماتت اراد ان يقترن باختها فاتوس فلم يأذن له غبطة بطريرك الطائفة المارونية فالتجأ الى غبطة البطريرك الانطاكي مكسيموس مظلوم فأذن له على شرط ان يكون من ابناء طـائفة الروم الكاثوليك فرضي واقترن بها فاولد شديداً ذكراً وبنات وبقي الامير شديد من ابناء طـائفة الروم الكاثوليك الى ان مـات واعقب الامراء : عبدالله ومراد وداود وابراهيم والاميرتين . نور الهدى وحنّة فالذكور تعمَّدوا على حسب طقس الروم الكاثوليك والاميرتان اتبعتا امّهما حسب طقس الكنيسة المارونية . وتزوجت نور الهدى بالامير سعيد ابن الامير خليل قاسم شهاب وتزوجت حنّة بالامير سعيد بشير اللمعي . امّا الامراء : عبدالله ومراد وداود وابراهيم فبقوا من طـائفة الروم الكاثوليك الى ان ادخلهم الطيب الذكر المطران بطرس كرم رئيس الطائفة ببيروت فحكم المجمع المقدس بعد الفحص الدقيق على يد مطرانين مخصوصين وهما السيدان الفاضلان يوحنا لوزانا ويوحنا الصعداني الى ان يبقى الامير عبدالله وحده من طـائفة الروم الكاثوليك لانه كان راشداً وان يكون اخوته الثلاثة القاصرون : مراد وداود وابراهيم من ابناء الطائفة المارونية . وبما اولاد الامير عبدالله من ذكور واناث فقد تعمَّدوا حسب طقس الروم الكاثوليك ثم اعتنقوا الطقس الماروني ومن بقي منهم من الروم الكاثوليك فعل ذلك رجاء ان ينال مناصب طائفة الروم الكاثوليك في حكومة لبنان مثل قائمقامية زحلة وغيرها — هذا مـا وصلت اليه معرفتنا القاصرة ووجدناهُ مسطراً في بعض اوراق قديمة . اه

﴿ انتحار الحيوان ﴾ سئلت مجلة الهلال أصحيح انَّ الحيوان ينتحر كالانسان . فاجابت بصحة الامر وضربت لذلك مثل العقرب المحاطة بالنار التي تلسع نفسها وتموت اذا لم تجد طريقة غيرها للنجاة . (قلنا) هذه احدى ترَّهات الهلال فان الانتحار جنونٌ يجهله الحيوان غير الناطق وهو يفضل من هذا الوجه على الانسان الجاهل . وما قيل عن العقرب لا صحة له كما جرَّبتهُ العلماء الاثبات

﴿ حفريات عسقلان ﴾ عسقلان من اقدم مدن فلسطين قد تكرر ذكرها في الاسفار المقدسة . بناها الكنعانيُّون وقد استولى عليها الفرعون رعمسيس الثاني ثم اتَّخذها الفلسطينيُّون كاحدى حواضرهم وامَّهات مدنهم الساحليَّة وهي تبعد عن اورشليم نحو ٧٠ كيلومترًا فحارب اهلها بني اسرائيل غير مرَّة . وفي ايام العرب اصبحت عامرةً كثيرة الرفاه حتى دُعيت بعروس الشام . ثمَّ اخربها صلاح الدين بعد ان غلب الصليبيين الذين تملَّكوها دهرًا وبقيت خرابًا الى زماننا . فالانكليز وجَّهوا اليها نظرهم واخذ الاستاذ غرستنغ يستعدُّ ليجري فيها حفريَّات في الخريف القادم لكشف عاديَّاتها . والامل معقود على وجود آثار عديدة فيها

﴿ سقوط الحكومة الشريفيَّة ﴾ قد ظهر فعلًا وتحقَّقنا عيانًا ما سبق العلَّامة ابن خلدون فدوَّنهُ في مقدمته عن سياسة العرب لا سيَّما في الفصلين اللذين هذا منطوقهما : الاوَّل « في انَّ العرب اذا تغلَّبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب » والثاني « في انَّ العرب ابعد الامم عن سياسة الملك » . فهذه الحكومة الشريفيَّة مذ استولت على داخليَّة الشام ومدنها الزاهرة قد قلبتها رأسًا على عقب فلم ينجُ منها النصارى والمسلمون والدروز مما ألمَّ بها لاجل منافعهم الشخصيَّة . فلا عجب انَّ سوء تدبيرها وتهييجها لعصابات الاشقياء على النصارى وزرعها بذور الفساد في المنطقة الغربيَّة ومطامعها الاشعبيَّة قد ساقت حتى اصحابها فدعا الامر الدولة الفرنسويَّة الى تلافي سياستها الخرقاء . فعسانا نتمتَّع بعد ذلك بعذوبة السلام بعد زمن معاطبها وتنكيس اعلامها

﴿ الطاولات الدائرة ﴾ بلغنا انَّ احد عمَّال مطبعة الاحوال يتعاطى تدوير الطاولات ويدعو اليها اصحابه فنكرِّر تنبيهنا على انَّ الكرسي الرسولي قد حرم ذلك ونهى عنه تحت طائلة الخطإ الميت . هذا فضلًا عمَّا يلحق من الضرر الادبي والمادّي بمن يلاعبون الارواح الشرّيرة (اللاعب مع القط يأكل خراميشه)

اسئلة واجوبة

س سأل جبرائيل افندي شباط من اميركا عن لسان احد المسلمين كيف يمكن النصارى ان يقولوا بأنّ الله اله واحد وقد ورد في دستور ايمانهم انّ ابن الله السيّد المسيح صعد الى السماء وجلس عن يمين الله الآب فهذا كلّهُ يدلُّ على اثنين لا واحد مع نسبتهم الى الآب يدين ورجلين يميناً وشمالاً

التوحيد والتثليث

ج خلط السائل بين وحدانيَّة الله في جوهرهِ الذي لا يقبل عدداً وبين الاقانيم الثلثة القائمة في الجوهر الواحد . ثم فاتهُ انّ الكلام في دستور الايمان انّما يدلُّ على ناسوت السيّد المسيح وطبيعتهِ البشريَّة لا على لاهوتهِ الواحد مع الآب والروح القدس . اما نسبة اليدين والرجلين والوجه واليمين واليسار الى الآب فكلُّ ذلك مجاز تقريباً للاهوت الله الى عقولنا البشريَّة الضعيفة ومثلهُ كثير في القرآن ايضاً . ومن اراد ايضاحاً اوسع فليراجع الكتاب الذي نشرناهُ وجدّدنا الآن طبعهُ « مقالات دينيَّة لقدماء كتبة النصارى »

س . سأل مستفيد ا . ع من افاضل الثغر ماهو اصل غاز البترول ؟

اصل غاز البترول

ج لم يتّفق العلماء الى يومنا على بيان اصل غاز البترول فمنهم من زعم انّهُ في قلب الارض محصول انحلال النباتات والحيوانات التي سبقت ازمنة التاريخ . ويرى غيرهم انّهُ نتيجة انعقاد الغازات الصادرة من الفحم المعدنيّ المستقطرة بقوَّة الحرارة الباطنة . وقد ارتأى الكيماوي الشهير السيّر بثلو انهُ ناتج من الابخرة المائيَّة المتسلّطة على المعادن الممزوجة بالكربون لدى وجود حرارة بالغة ل . ش

اصلاح غلط — وقع في مقالة تمصُّر الامراء اغلاط يجب اصلاحها (ص ٩٤٤ س ٥) كالسعريين والصواب كالمعنيين = ص٦ تولى احمد وتصور سوريّة ١٧٨٩ ثم تصور وحده = ص١٢ ثم تغلّب عليهم لقلب الامارة = ص ٩٤٣ س ١٤ اول من اعتنق من آل ايبن كان احد ابناء الامير حيدر